

الاستقلال الحضاري
د. محمد عمارة
نهضة مصر

الاستقلال الحضاري

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: الاستقلال الحضاري
المؤلف: د. محمد عمارة
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى - يناير 2007م
رقم الإيداع: 2006 / 22873
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3630-4

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 02/3472864 - 02/3466434 فاكس: 02/3462576 ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

كلمـــة

[إن المقلدين للتمدن الغربي إنما يشوهون وجه الأمة، ويضيعون ثروتها، ويحطون من شأنها

إنهم المنافذ لجيوش الغزاة، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب!!]

جمال الدين الأفغانى

كلمـــات

قديم هو ذلك الصراع بين أمتنا وبين الغرب الاستعمارى.

▪ فالقهر البيزنطى حلقة قديمة فى سلسلته.

* * *

▪ والحروب الصليبية قد مثلت حلقته الوسيطة.

▪ والغزوة الاستعمارية الحديثة هى ذروة هذا التحدى التاريخى والحضارى الذى استهدف -ولا يزال- كيان أمتنا وذاتيتها وإمكاناتها..

▪ وربيب هذه الغزوة الحديثة: الكيان العنصرى الصهيونى- هو الشريك الأصغر فى التحدى المعاصر الذى هو امتداد لهذا الصراع القديم"

* * *

ولقد تميزت المراحل القديمة في هذا الصراع الحضاري بوضوح الرؤية لدى أمتنا إزاء هذا الغرب الاستعماري الذي ما فتئ يقذفنا بحملات الغزو ومحاولات الإبادة وموجات النهب والاحتواء.

لكن الأمر لم يعد كذلك في ظروف صراع أمتنا ضد الغزوة الاستعمارية الحديثة، لا لخفاء أهدافها وغموض نواياها، وإنما لما حملت معها من «فكر» كانت أمتنا في حاجة إلى كثير منه كي تنهض وتعوض ما فاتها في حقب الجمود والتخلف التي حكمها فيها وتحكم فرسان المماليك وسلاطين آل عثمان.. ولما تضمنه هذا «الفكر» من جوانب مثلت «عوامل استلاب» حاول بها الغرب الاستعماري -ولا يزال- احتواء أمتنا، وطمس معالم تمايزها واستقلالها، وتشويه معرفتها بذاتيتها.. وصولاً إلى تجريدها من طاقات الثورة في سبيل النهضة والاستقلال!

ولذلك وجدنا -ونجد- «الموقف من الغرب».. قضية من قضايانا الفكرية الخلافية.. على عكس ما كان عليه موقف أسلافنا الذين واجهوا هذا الغرب تحت أعلام الفتوحات العربية الإسلامية.. ومن خلف أبطالنا القوميين الذين مثل نموذجهم: الناصر صلاح الدين الأيوبي.. واجهوه بتمايز كامل وواضح في المواقع والمواقف، بلغ مرتبة تمايز «الكفر» عن «الإيمان».

بل إن خلاف حركتنا الفكرية حول الموقف من الحضارة الغربية كاد أن يصبح ثغرة عظمى تجعل بأس مفكرينا ومثقفينا بينهم شديداً، الأمر الذي يصيب طاقاتنا الفكرية بنزيف يسلم إلى الضعف والهزال؛ فبينما نجد:

■ «سلفية نصوصية» تسعى إلى معاكسة قوانين التطور، التى هى سنة من سنن الله فى الكون والمجتمع، وتجاهد لصب الحاضر والمستقبل فى القوالب التى صنعها «سلفها الصالح» فى عصور الجمود والتخلف تحت حكم المماليك وتحكم العثمانيين!!

■ نجد «سلفية نصوصية» «متغربة».. تسعى هى كذلك لصب حاضرنا ومستقبلنا فى القوالب التى صنعها «السلف الغربى».. بدءًا من اليونان القدماء، وحتى نهضة الأوربيين المحدثين!

وإذا كان الخيار الأول سيقودنا إلى «انغلاق» يقف بأمتنا عند «التخلف الموروث» الأمر الذى سيعجزها عن تقديم البديل وإبداع المشروع الحضارى الكافل لنهضتها وإفلاتها من قبضة الهيمنة الغربية.. فإن الخيار الثانى سيقود الأمة إلى «التبعية» للمركز الحضارى الغربى، وهى تبعية يسعى إليها الغرب ويسمح بها شريطة ألا تتعدى إطار سلبيات وأمراض نموذجه الحضارى، الذى كاد أن يبلغ نهاية الطريق المسدود!

ولأننا نرفض الاستسلام لأى من هذين الخيارين.. كانت صفحات هذا الكتاب الساعى إلى التبشير بطريق ثالث ومتميز فى هذا الصراع الدائر حول الموقف من الحضارة الغربية.

■ طريق التمييز - فى موروثنا - بين «الثوابت» وبين «المتغيرات».

■ طريق النضال من أجل الحفاظ على نقاء الهُويَّة الحضارية للأمة، فى وجه محاولات المسخ والنسخ والتشويه الذى تمارسه فكرية «التغريب» وتيار «المتغربين».

■ طريق فتح نوافذ العقل على مختلف الحضارات، من موقع الراشد المستقل، الباحث عن عوامل القوة، يدعم بها ذاتيته المتميزة ونهضته الحضارية المستقلة.. والرافض لكل عوامل الاستلاب لشخصيته القومية وللسمات التى ميزت حضارة أمته عبر قرون تاريخها الطويل والمجيد.

تلك هى الرسالة التى تحاول الوفاء بها صفحات هذا الكتاب عندما تعالج هذه القضية المحورية من خلال دراسات ثلاث، تمثل أقسامًا ثلاثة في هذا الكتاب:

١- الاستقلال الحضارى.. وماذا يعني فى النهضة المنشودة لامتنا..؟

٢- العلاقة بين «موروثنا» العربى الإسلامي وبين «الوافد» الغربى.

٣-نموذج تطبيقي لهذه العلاقة، من خلال دراسة موقف واحدة من أعرق مؤسساتنا الفكرية والتعليمية [الأزهر] موقفه من «التغريب».

فإذا نهضت هذه الصفحات برسالتها، فحملت ما قصدنا إليه إلى الباحثين والقراء كانت سعادة الكاتب الذى يحمل هموم أمته، ويناضل لتنوير طلائعها بمخاطر التحديات التى يفرضها عليها أعداؤها الكثيرون!

والله من وراء القصد.. وهو ولى التوفيق.

د. محمد عمارة

١

الاستقلال الحضارى

... مقدمات تمهيدية ...

منذ بدء الهجمة الاستعمارية الحديثة على ديار العروبة والإسلام، وضحت نوايا وأهداف هذه الموجة من موجات التحدي، وتميزت عن غيرها من الموجات التي ابتليت بها أمتنا عبر تاريخها الطويل.

فهي لا تبغي فقط السيطرة على طرق التجارة الدولية.. ولا تقنع بالنهب الاقتصادي الاستعماري.. ولا تكتفي بتفتيت وطن أمتنا، لتحول دون وحدتها، فقوتها، فنهوضها.. ولا تقف أطماعها عند تحويل شرقنا العربي والإسلامي إلى «هامش أمن» للغرب الأوربي..

لا تكتفي هذه الهجمة الاستعمارية بكل ذلك.. بل إنها في سبيل تأبيد جميع ذلك وتأبيده وتكريسه، سعت وتسعى إلى سحق شخصيتنا القومية الخاصة، ومسخ هويتنا الحضارية المتميزة، والحيلولة بين أمتنا وبين استعادة قسمات استقلالها الحضاري المفقود.. ورأت في تحويلنا إلى «هامش حضاري» للغرب الضمان لبقائنا «هامشا» له في الأمن والاقتصاد!

ومن هنا، وبسبب هذه الأهداف الاستعمارية تنوعت أسلحة الصراع، وتعددت ميادينه، فشملت ساحات: «الفكر» و«المادة»..

وخاصة: «المفكرون» و«العامة».. واستنفر «العلماء» و«الجند».. واحتاج إلى «القلم» و«السيف» عبر تاريخه الطويل!

ولقد استعان الاستعمار، في صراعه مع أمتنا على الجبهة الحضارية، بعوامل كثيرة تدخل في عداد «حيل الخداع والتمويه» النابعة من «غرور المنتصرين واستعلائهم على المهزومين»!

فهو قد جاء إلى بلادنا فعاجل الصحوة التي حاولنا بها الإفلات من ظلام العصر «المملوكي - العثماني» وقيوده، واليقظة من سبات ليله البهيم والطويل.. صحوة النهضة المصرية التي قادها، بمصر والشرق، محمد علي باشا الكبير [١١٨٤- ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩م].. وصحوة الثورة العرابية [١٢٩٨- ١٢٩٩هـ = ١٨٨١ - ١٨٨٢م] التي طمحت إلى محو آثار الهجمة الاستعمارية على نهضة محمد علي بعد سنة ١٨٤٠م!

وكانت حركة الاستشراق، في مجملها وأغلبيتها، طليعة هذا الزحف الاستعماري على جبهتنا الحضارية العربية الإسلامية.. وكانت هذه الحركة الاستشراقية أعلم منا، يومئذ، بتراثنا الحضاري، فألحت على عقل أمتنا ووجدانها بالمقولة التي تزعم أننا أمة غير متميزة حضارياً، فتراثنا العربي - كما قالت - فقير في الخلق والإضافة والإبداع، وعقلنا العربي عاجز عن التفلسف والفكر المركب، وليس لأسلافنا غير فضل النقل والحفظ لتراث اليونان، والمحاكاة لتراث الفرس والهنود!

ولم يكن هدف هذه المقولة الاستشراقية هو فقط تثبيط الهمة وفل العزيمة، وخفض الهامة، وكسر النفوس، وإذلال النفس العربية الإسلامية، بل كان الهدف أبعد من ذلك وأكثر خطرًا، كان الهدف استخدام كل ذلك للوصول إلى مقولة ثانية تزعم أن التمايز الحضاري ومن ثم الاستقلال الحضاري هو في الأساس ومن حيث المبدأ محض أكذوبة لم تعرفها التراث ولم يشهدها التاريخ، ومن ثم فلا جدوى من جعله هدفًا تتطلع إليه الحاضر والمستقبل، فالحضارة واحدة، وهذه الحضارة الواحدة هي الحضارة «الإنسانية» كانت قديمًا يونانية ثم نقلها العرب والمسلمون إلى الأوروبيين الذين أسسوا عليها حضارتهم الحديثة التي هي حضارة العصر «الإنسانية الوحيدة» فأوروبا هي «المركز» كانت كذلك قديمًا وأيضًا في الحديث.

ومن ثم فما على الذين يريدون أن يتحضروا إلا أن يسعوا إلى لتحقيق شهود الحضارة الأوروبية الغربية بجعل «عقلهم وواقعهم امتدادًا لعقل» أوروبا وواقعها، وبجعل بلادهم قطعة من أوروبا - كما نسب إلى الخديو إسماعيل [١٢٤٥ - ١٣١٢هـ ١٨٣٠ - ١٨٩٥م] قوله وسعيه.

فالقضية في نظر أصحاب هذه المقولة هي الانخلاع من جذورنا بفاتورة التقدم في حاضرنا، ولبس التبعية التي تفرضها علينا سيطرتهم الاستعمارية.

ومن ذلك من الفهم و«الرؤى» والتصورات ما هو «مطلق» وعمودية حلا في نطاق «التخلف» الذي نحن أبعد عنه

و[illegible] عندهم [illegible] منقرضة [illegible] في [illegible]

[illegible] تغيير [illegible] في [illegible] واقعه

[illegible] في العصر [illegible]

[illegible] اعتمدوا وصف [illegible] الصورة [illegible]

[illegible] على [illegible]

من [illegible] والإسلام عن التغيير

لقد أرادوا [illegible] الإسلام عن جوهره وسموا هذا الإسلام [illegible] و تحديث [illegible] لأنهم أرادوا [illegible] أن هذا الجوهر الذي يمثل هوية الأمة هو قوة الطرد المركزية التي ستحرك الأمة في اتجاه الاستقلال الحقيقي و التحرر من سيطرة الاستعمار

ولما كانت حضارة هؤلاء [illegible] هي حضارة [illegible] في صفوف الأمة من [illegible] ويبيض وجهها [illegible] في عقل الأمة النوافذ والأبواب والثغرات [illegible] الأرض في [illegible] مكان أن تتبلور في حركتنا الفكرية ما عرف [illegible] التي تقدم علاقة [illegible] الأمة بوصفهم [illegible] و التحرر من [illegible] عصر [illegible]

وقد حسب [illegible] العصور [illegible] السلطوية العثمانية [illegible] الانخراط في موكب [illegible] في الحضارة و [illegible] التجديد و يقظة والإحياء عن [illegible] الطريق [illegible]

ولقد ساعد على ازدهار هذا المنحى، وبخصوص ما كانت عليه المؤسسات والمنشآت التي احتكرت لنفسها حق التحدث عن التراث والتوسم لنيلة الصالح عنه، كانت هذه المؤسسات مثقلا بالحرفية والسعو [illegible] محمد فتحطم [illegible] ورثة حروف وتحصنه للملابسات [illegible] كان المؤسس لانه لم يكن ابداع الامة ولا عبقرية الاسلاف القدماء [illegible] حكايات، عصر جمود هذه الامة وتخلفها وتضخم سلفها الذي لم يكن صالحا!

فكان جمود هذه المؤسسات وسوء علاقتها بتراثها [illegible] ويغري بسلوك طريق «التغريب»

لكن اصالة هذه الامة الحضارية وعوامل [illegible] المستكنة في كيانها الحضاري قد استنفرها هذا التحدي الذي وضعت فيه شعوبها عندما تحدد عليها الاستعمار فكان [illegible] الموقف الثالث وانتشار التيار الثالث تيار «التجديد الذاتي» الذي يمد جسور التواصل الحضاري مع كل حضارات الامم الاخرى فيؤثر ويتأثر ويتفاعل ويأخذ ويعطي من موقع الراشد المتميز الذي لا يفقده التواصل الحضاري ما له من تميز واستقلال كما لا يدخله هذا التميز والاستقلال في عالم الجمود و [illegible] المتحجرين الذين يقتلهم الانغلاق والاستعلاء

ومنذ نشأة تيار «التجديد والتحديث» هذا، تصارعت على الساحة الفكرية لامتنا هذه التيارات الثلاث

١- تيار الجمود:

ذلك الذي استعصم بفكرية العصور الوسطى واعتصم بجدار اضفى على هذه الفكرية التي حدثت عصر تخلف الحضاري قداسة الدين وقدسيته! ولقد تمثل تيار «الجمود» هذا في المؤسسات التقليدية العريقة.. الا قليلا من اعلامها.. تمثل في عدد من شيوخ الازهر والزيتونة وفي قوم زعموا انهم «مجتهدون» رغم تقليدهم واستسلامهم لاساطير تراثية ظلت تفعل فعلها في تقسيم المسلمين الى «شيعة» و «سنة»! وكذلك تمثل تيار «الجمود» هذا في تنظيمات «الطرق الصوفية» التي غرقت في البدع والخرافات والرسوم، وانقطعت صلاتها بالتصوف الحق سواء اكان «عقلانياً» أم «شرعياً» تهذيبياً.

وخلف هذا التيار سارت «العامة» لعميله «الاستمرار» ورفضه «التغيير» وحفاظه على «المألوف» وهبوط تصوراته العقائدية الى مستوى تصورات العامة و «الجمهور».

٢- تيار التغريب:

ذلك الذي بهر اهله بتألق الحضارة الاوربية وبحضاراتها وانتصاراتها خصوصا عندما قارنوا بينها وبين النموذج «الحضاري» الذي تمسك به تيار «الجمود» فعدا ان حسبوا لجهلهم بتراثهم الحضاري.. تصور اهل «الجمود» هذا هو حقيقة تراث امتنا الحضاري فدفعتهم هذه المقارنة الى ادارة الظهر لتراثنا، وتولية الوجه والعقل والقلب الى الحضارة

الأوروبية، مصدقين زعم الأوروبيين [illegible] حضارتهم هذه هي «الإنسانية»، ومن ثم «الوحدة» في العصر [illegible] على من يريد التحضر أن يلحق بها، ويذوب فيها ويصطبغ بصبغتها [illegible] فيفكر كما يفكر الأوروبيون، ويحب كما يحبون، ويتمثلهم في «المقاصد» و«الأدوات» على السواء!

ولقد تمثل تيار «التغريب» هذا -أساسًا- في الأعلام الذين قلدوا الغرب بعد أن درسوا حضارته سواء منهم من درسها في عواصمها أو في المؤسسات التعليمية التي نشأت في بلادنا على نمط مثيلاتها في الغرب فلسفة ومنهجًا [illegible] التيار فريق من أبناء الأمة أعانهم الاستعمار على الإمساك بزمام التوجيه في «المدرسة» و«الجامعة» و«الصحافة» و[illegible] وكل أدوات التوجيه ومؤسسات التحديث

٢- تيار «التجديد»

[illegible] العلاقة بين تياري «الجمود» و«التغريب»، فأهل «الجمود» يقدمون الدليل [illegible] على عدم صلاحية موروثنا كي تنهض بحضارتنا على النحو الذي يضمن للأمة مواجهة ما يواجهها من تحديات [illegible] فريق التغريب [illegible] إلى النموذج المتحضر وقوته وعقلانيته [illegible] الذين فرضوا على الأمة هذه التحديات [illegible] الفريقين [illegible] الحضاري [illegible] صفحات الازدهار الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية [illegible]

كي تمثل الروح التي تنتمي إليه الأمة وهي تصنع حاضرها الراهن وتخطو نحو المستقبل المنشود.

ولقد تمثل تيار التجديد هذا في الأعلام الذين استوعبوا تراث الأمة ثم لم يحبسوا عقولهم في قوالب الشروح والتلخيصات التي عرفت بالتعصب لمذاهبها كما لم يدفعهم سعيهم للتراث إلى الغرق في القضايا القديمة التي شغلت الأولين بالجدل، والتي تجاوزها العصر، لأنهم رفضوا أن يعد منهم مقاومون للتطور أمكنهم إعادة الحاضر أو المستقبل كي يصب في قوالب التجارب التي صنعها الأسلاف. ثم إنهم لم يغلقوا عقولهم دون التيارات الحضارية الأخرى والتجارب الإنسانية التي ازدهرت وتزدهر خلف حدود العروبة والإسلام ودون المواريث الحضارية غير العربية الإسلامية كذلك.

- ■ الانطلاق من تراث الأمة باعتباره طاقة تشحن الذات بالكبرياء المشروعة التي تعينها على مواجهة التحديات المعاصرة وإنجاز مشروعها الحضاري المعاصر.
- ■ المحافظة على القسمات والسمات التي تمثل البصمات الثابتة في شخصية هذه الأمة وحضارتها وخاصة ما كان منها دينا وصبغة الله أو روحا حضارية تميزت بها هذه الأمة عن غيرها من أمم الحضارات العتيقة والعريقة.
- ■ التفاعل مع الحضارات الأخرى والإفادة منها دون تقليد يمسخ شخصيتنا الحضارية وإنما بالتمثل الذي يبرز ذاتنا في الموقع المتميز والخاص.

لكن تيار التجديد هذا قد ظل حبيس الصفوة التي امتلكت زمام «الأصالة والمعاصرة» معاً ووازنت بينهما موازنة عادلة وخلاقة وساعد على حبسه في هذا الإطار أنه قد حوصر وتلقى الطعن من تياري «التغريب» و«الجمود» كليهما لما مثله من خطر حقيقي على غايتهما ووسائلهما جميعاً

* * *

غير أن تيار «التجديد والتجدد الذاتي» هذا لم يكن عصبة واحدة متحدة في كل بلاد العروبة وعالم الإسلام، فقد تعددت فيه «الفصائل» وتعددت «الحركات» وتنوعت الدعوات بسبب ما بين أقاليم عالمنا العربي وأممنا الإسلامية من تفاوت في مراتب التحضر وتنوع في مستوى التحديات التي تواجه هذه الأقاليم واختلاف في المكونات الفكرية التي صنعت مصادر الثقافة والرواد في هذه الفصائل والحركات والدعوات

لكن الحديث عن «فصائل» هذا التيار وعن علاقته بالمستقبل أممنا الحضاري يستدعي أن نقدم بين يديه مقدمات تمهيدية لا غنى عنها للوعي بكنه هذا التيار، وما يمثله للأمة من طوق نجاة مما يواجهها من تحديات

• وأولى هذه المقدمات يلخصها عنوان هذا الكتاب

ذلك أننا نحن نؤمن بأن حضارتنا هي «عربية إسلامية» فهي حضارة أمتنا التي هي عربية قومية وهي إسلامية لأن «الإسلام الحضاري» تمثل عبقريتها

«أيديولوجيتها المتميزة فالإسلام الحضاري هو الرسالة الخاتمة لأمتنا العربية الواحدة تستوي في ذلك الشعوب التي يدينون بالإسلام الدين وبين الذين يدينون بديانات التوحيد» التي تلك التي هذا الدين شرائع ومناهج جرى الرسل آخرين سبقوا محمد ﷺ على درب علاقة السماء بالإنسان.

ثم إنها عربية إسلامية لما لأمتنا العربية من دور قائد في نشر الإسلام الدين والقيام على تجديده وفي قيادة الأمم الإسلامية لمواجهة ما تعرضه عليها الأعداء من تحديات منذ كانت مهمتها تاريخيا ولا تزال مهمة بل وقدرا من أقدارها في عصرنا الحديث.

■ وثاني هذه المقومات يتطلبها العنوان أيضا فهو يعني أنه قد كانت للأمة العربية الإسلامية حضارة متميزة ومستقلة عن حضارات متعددة لأمم أخرى ثم فقدت منذ هذا الاستقلال الحضاري، وغابت عن ساحتها وغامت في عين فريق من أبنائها تلك القسمات الحضارية الخاصة التي تكسب حضارتنا ذاتيتها التميز وهذا الاستقلال ثم جاءت هذه الصحوة وتحركات الإصلاحية والتيارات التجديدية -التي سنتحدث عنها- في العصر الحديث لتحاول استعادة هذا الاستقلال الحضاري لأمتنا، بالكشف عن قسمات تمايزها الحضاري، وبلورة هذه القسمات أو تطويرها.

■ أما المقومة الثالثة، فإنها تجيب عن سؤال نطرحه لنقول:

هذه الحضارة المتميزة، ما قسماتها الرئيسة التي تميزها فتجعلها مستقلة أو متميزة عن غيرها من الحضارات، والتي كانت تعني هذه الدعوات والحركات التجديدية عليها وهي تسعى نحو هذا الاستقلال الحضاري في عصرنا الحديث؟

ونحن إذا شئنا «تكثيف» الإجابة عن هذا السؤال أمكننا ذلك إذا نحن قلنا: إن حضارتنا هي «حضارة التوحيد».

فلو تخيل المرء أن كل أمة من الأمم العريقة ذات الحضارات المتميزة قد «صاغت وسكت» لحضارتها «عملة» تميزها، وصنعت لذلك أسس لكل «عملتها» التي تميز حضارتها مرآة برمز «التوحيد» على وجهيها: «التوحيد الديني» على أحد وجهي «العملة»، و«التوحيد القومي» على وجهها الآخر، والصلات بينهما والتآلف عن جعلهما وجهين لعملة واحدة ترمز لحضارتنا العربية الإسلامية: حضارة التوحيد.

ففي «التوحيد الديني» فلسفة هذه الأمة ومعنى تصورها للكون، حتى لقد سمي العلم الذي حمل أمانة عبء الفلسفي — وهو «علم الكلام» — بعلم «التوحيد»... وفي هذا التصور التوحيدي للكون قد أفصحت عن أهم ما يميز حضارتها من قسمات، ألا وهي «قسمة التوازن والموازنة» بين المتقابلات والمتناقضات واتخاذ الموقف الوسطي العادل الذي يؤلف بين ما تحسبه حضارات أخرى غير قابل للتآلف من ومؤاخذة

بين هذه المقابلات نطرح معقولية تتمثل بموقف الشك الوسطي بمعنى العادل والرافض لكلا الموقفين المتطرفين السابقين لأن كلا منهما قد جاء نتيجة لنظرة موحدة الجانب للحركة القاصرة التي لم تبصر سوى قطب واحد من أقطاب تطور هذا الكون.

فالنظرة التوحيدية للكون هي التي وازنت واتحدت بين التوحيد الديني الذي يعني وجود الخالق الأول وسيد الكون في هذا الكون الله سبحانه وتعالى وبين ما في الطبيعة والطبيعة من خصائص ذاتية تحقق غاية الخالق ومسببة الأسباب.

وهي التي وازنت بين التوحيد الديني الذي يقطع بأن الله هو خالق الكون ومن تصور هذا الكون قديما وهو مقولة فلاسفة الإسلام وعلماء متكلميه. فعل الخالق قديم فلم تشهد حضارتنا الإسلامية الانقسام الذي حصل [illegible] العالم من دين وأنه بلا [illegible] الإلهي [illegible] كما حدث في الغرب الفلسفي للحضارة الأوروبية ومن بعده بفلسفة حديثة من لقد تطورت حضارتنا في ظل معنى التوحيدية وكان فلاسفتها وعلماء متكلميها موحدين بالله الخالق للطبيعة [الحقيقة] وفي ذات الوقت يقرون للطبيعة وقوانينها بما فيها من فعل وتأثير.

وهذا التوحيد الديني هو الذي صنع حضارتنا بطابع التوازنية والتوفيق بين الإنسان وبين الكون المخلوق

فانتفى ... العروبة ... بين «الفرد» و... والجماعة ... «البداوة»، فعرفت هذه الحضارة من ... الملكية ... الأسلاف ...

«القبلية» ... عن ... نفسها ... معرفة ... «التي فلسفة نظام الدولة ... والتجربة الأمنية ... في ... هذه نظم ... المستمر ... «الوحدة» ولا الانفصام والفصل ... عن حضارات الأخرى.

... الآخر ... رفعت فيه ... حضارات الأعراق في ... لرهبة والانقطاع ... الأخرى ... وفي ... صلاح ... الذي ... حتى ... الخلاف ... عن ... من حرج ... من حرق؟

وما ...

و... وقصب

١ ...

كما يقول شاعر الإسلام حسان بن ثابت [؟٥٤هـ [illegible] ٦٧٤م]

وهذه الحقيقة هي التي يعبر عنها الإمام الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م] عندما يقول

[illegible] نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة فإذن نظام الدنيا أعني مقادير الحاجة شرط لنظام الدين

وهذا «التوحيد الديني» هو الذي وازن بين العقل وبين النقل والوحي». فلم نشهد في حضارتنا الصراع [illegible] أحدهما [illegible] للآخر [illegible] لا في عند جمهور تيارات الفكرية [illegible] كيف كان العقل هو سبيل لإدراك الوحي [illegible] وكيف كان مع [illegible] سبيل الاستدلال في الدين الأمر الذي جعل الفلسفة [illegible] على حد [illegible] الدين!

وهذا التوحيد الديني [illegible] كما [illegible] العقائد الدينية والعبادات والتي مثلت في شئون الدين [illegible] وعبادات ومقاصد ومعاملات وكليات [illegible] وبين هذه الثوابت الدينية وبين [illegible] الدنيوية التي جعلت بها بعض

١ [الاقتصاد في الاعتقاد] ص ١٣٥ طبعة القاهرة [illegible]

الإنسان يدع فيها جانبًا وتصوراته وفق مصلحته وإلى جانب ذلك الدين وُجدوا كمبادئ خفيفة متعددة بشريعة تبين مصلحة الأمة جميعها وسد ها ولحمتها

وهذا التوحيد الديني هو الذي عملت الشريعة مبادئه مستمدة فقط «الكتاب» من ومعه الميزان الذي هو الخط والعدل والشريعة العادلة عندما توضع في الممارسة والتطبيق فتعمل مع الإنسان جنبًا بعد جنب تجمع الشمل صفة بالمعروف إنه الذي تربط بالحق والميزان، والتي ما تزال به من كتاب وسنة الأمة سكينة

هكذا وعلى هذا النحو كان أمر «التوحيد الديني» كجامع لفلسفة الإنسان المسلم وكمبدأ الأمة وجامعة تربط الكون، وتصور على هديه الوجود الإنساني والاجتماعي والإنساني

وهكذا كان هذا التوحيد من رحيق عملة حضارة عربية إسلامية

* * *

أما التوحيد الآخر لهذه الأمة الحضارية فهو التوحيد القومي

ذلك أن وحدة العرب في حاضرهم بعد كانت تعني ما تعدد لأنهم في الغالب كانت تعدد وتجسد غياب وحدة الهوية بيد أن بعض من العربية عملًا بالتوحيد الديني التوحيد هو سبب في

(١) المصدر نفسه ص ١
(٢) المصدر نفسه ص ١٢

الدين ـ ليسهم في وحدة هذه الهوية في الجماعة والدولة.
ومن هنا كانت العروة الوثقى بين «التوحيد الديني» و«التوحيد القومي» وكان كل واحد منهما من الآخر هو بمثابة الوجه من عملته الأول من وجهها الثاني ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾(1)، ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾(2) فكان هذا «التوحيد الديني» في «التوحيد القومي» هو ـ كما يقول القرآن الكريم ـ آية من آيات الله ومعجزة من معجزات الإسلام.

ولقد سارت الجماعة العربية على هذا الدرب، فتوحدت القبائل في كل قومي واحد، أصبحت الدولة العربية الإسلامية إطاره وإدارته ونتج عن ارتباط التوحيد القومي بـ التوحيد الديني أن أحدا لم يعترض فيه وحدة الدولة المدينة حتى بعد اختفاء فريضة الزكاة للسلطة مع خلافة أبي بكر الصديق [51 ق هـ ـ 13هـ = 573-634م] ممن رفضوا أمر وحدة الدولة القومية، رغم تمسكهم بأنهم ... لأن وحدة الدولة القومية غدت حقا من حقوق شهادة «التوحيد الديني» لا إله إلا الله.

(1) آل عمران: 103.
(2) الأنفال: 63.

وبعد عصر الفتوحات كان «الاستعراب» القومي لسانا [لغة] وثقافة وحضارة السبيل لاتساع دائرة «الأمة القومية» فامتزجت لتشكل ... الشعوب واختص «الإسلام» الموروث الحضارية» لهذه الشعوب فكانت الأمة الواحدة والحضارة الواحدة الجديدة. تبلورت الأمة بالاستعراب، وتبلورت الحضارة في عصر التدوين

ولقد تميزت هذه العملية التوحيدية القومية بما تميزت به حضارتنا من «الموازنة والتوازن» بين المتقابلات والمتناقضات فاتخذت الموقف «الوسطى والعدل» موقف «الشاهد» على المواريث الحضارية القديمة الذي يحكم في الحكم على صلاحيتها كي تدخل في نسيج الحضارة المستقبلة ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾(1) كذلك اتخذت هذه العملية التوحيدية القومية هذا الموقف «الوسطى العادل» عندما وازنت بين «المواريث الحضارية غير العربية» وبين «ثوابت الإسلام» المتعلقة بالثوابت فتبلورت منهما «الإسلام الحضاري» وعندما وازنت بين «خصائل» مختلف الجماعات والشعوب والأمم التي أدخلها الفتح في إطار الدولة الجديدة فصهرت من كل هذه العناصر قسمة في الحضارة الشابة تميزت بها الأمة الوليدة، رافضة غلو التطرف وتطرف الغلو: عصبية العرب الجاهلية العرقية وتعصب الشعوبية ضد كل ما هو عربي. وهي أيضا قد وازنت بين مركزية ... وبه الخلافة

(1) البقرة: ١٤٣.

وبين «المقدمات» و«النتائج» وبين التحليلات والاستنتاجات فكم
الإسهام المنطقي والمنهجي في إنماء الحضارة العربية والإسلامية

ولقد كان المنهج الذي صنعته الأمة واسعة عقلها طريقا
لصنع إنجازها الحضاري المتميز هذا كما يشهد هو كذلك
بهذه نفسه الحضارة لهذا الإنجاز عهد الأمة قد عقلت بوقد
عقلها على محيط حضارات ونظرت بنظرها وبصيرتها في
مواريث اليونان والفرس والهنود ثم أخذت ونقلت موقع
الراشد في الموقف المتميز علم بحوثها إلى يونان وفرس
أو هنود وإنما من منحرف انحصاري غريب إسلامي متميز
وكما تميزت بثمرة، فلقد تميزت الأداة المنهج عندما لم
يقف عند الحصر الفلسفي والفكري، فقد كما كان الحال عند الغربيين
عند اليونان وعندما لم ينهض النظر الفلسفي والفكري مكتسب
بالتجريب الذي يمارسه وينتجه بوحدات المحسوسات
وبما وراء بينهما فكان أن تبلور المنهج الاستقرائي القائم
على الملاحظة والتجريب والاستخلاص الفكري ثم العودة إلى
التجريب، فالفكر التطبيقي وهكذا وفي هذه الموازنة المنهجية بين
المادة والفكر لم يعد العلم المادي ظلا لعالم المثل كما
كان الحال في الحضارة اليونانية وفي نظرية المثل عند
أفلاطون [٤٢١ - ٣٤٧ ق م] كما لم يصبح «الفكر» مجرد
انعكاس لـ«المادة» كما هو الحال في «المادية الفجة» التي صعد
عليها نهج أوروبا في العصر الحديث وإنما كانت العلاقة الجدلية
بين «الفكر» و«المادة» على النحو الذي تتميز به فلسفة

الإسلام جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] عندما يقول: إن كل «شهوة» يحدث «فكراً» وكل «فكر» يكون له أثر في «دعوة» تدعو إليها وعن كل «دعوة» ينشأ «عمل» ثم يعود من «العمل» إلى «الفكر» دور يتسلسل ولا ينقطع الانفعال بين «الأعمال» و«الأفكار» ما دامت الأرواح في الأجساد، وكل قبيل هو للآخر عماد، آخر «الفكر» أول «العمل»، وأول «العمل» آخر «الفكر»(١).

هكذا تميزت حضارتنا عندما أصبح «التوحيد» هو روحها العام: أي في النظر إلى الكون وتصوره.. «التوحيد الديني»، وفي صياغة المجتمع والدولة وتصور الإنسان بهما وعلاقتهما بهذا الإنسان.. وإن في الأبعاد الشبيهة التي استقر به الإنسان العربي على ثورة هذا الانحدار.. فالتوحيد يعني «التوازن» كما أن الثورية والتكييف والتوفيق و«الوسطية» تعني في جوهر الانحياز إلى التوحيد.

• وبعد هذه المقدمات التمهيدية وختامها نبدأ بسؤال:

متى فقدت حضارتنا هذه استقلالها؟ وبم؟

أما لماذا؛ فلأنها قد فقدت خاصيتها أي صبغتها الوسطى المتوازن أي صبغة توحيدها بالتمزق والانفصام.

وأما متى؟ وكيف حدث ذلك؟ فالرأي عندي أن بدايته كانت

(١) (الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني) ج١ ص ١٤١ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٦٩م.

[illegible] واعد [illegible] العود

و[illegible] من [illegible]

لقد كان عمر بن الخطاب [٤٠ ق.هـ - ٢٣ هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤م] رضي الله عنه [illegible] الى [illegible] على [illegible]

[illegible] حتى لا [illegible]

والأمة [illegible]

[illegible]

لهم [illegible] في البلاد [illegible]

[illegible] الخاص للحسن، و[illegible] على [illegible]

[illegible] فرس [illegible]

[الصحابة] [illegible] في الغزو

والجهاد في سبيل الله [illegible] بخلافهم [illegible]

لامتعهم من [illegible]

لكن عثمان بن عفان [٤٧ ق.هـ - ٣٥ هـ / ٥٧٧ - ٦٥٦م] رضي الله عنه لم يتمسك بالذي تمسك به عمر [illegible]

ففي عهده «خرجوا إلى البلاد [illegible]

ورأوا الدنيا، ورآهم الناس [illegible]

[illegible]

[illegible] على الاسلام

و[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

على كان العصر العباسي كان ارتقاؤه في سلم
بالعنصر العربي عن حدة العصبية وحسمها ... تعدى الأمة
قسمة تتوازن بين القوة وبين العقل ... حركة ... الدولة
من العنصر العربي لتميل إلى العلويين من آل البيت ونصرة
لثوراتهم التي كان مقرها ... وكانت الشعوبية
المدفوعة بالثأر ضد الدولة العربية واستخدمت الثورات
المجوسية ضد الإسلام تسعى ... التسامح ... وإفساد
«الدين». فما كان من الخليفة العباسي المعتصم [١٧٩ - ٢٢٧هـ
= ٧٩٥ - ٨٤١م] إلا أن خطا الخطوة القاتلة عندما ... الدولة
جندها وقوتها الضاربة من ... العرب ... حضارة
الأمة بحكم العنصر والجنس والنسب والتكوين ... لا يشكو
ولا بعقلانية حضارتها، بحكم كونهم عسكرًا فضلاً عن كونهم
مماليك فلما أصبحت هذه المؤسسة العسكرية غريبة عن الروح
الحضاري للأمة تحولت ... الدولة ...
كفة «القوة» على كفة «العقل» ... المتوكل العباسي
[٢٠٦ - ٢٤٧هـ = ٨٢١ - ٨٦١م] الذي ... العقلانية
التي ... الصفحات المشرقة لحضارتنا ...
«ظواهر النقل» ... العقل ...
النسبية و... المتوكل ...
يرجحون علوم ... على علوم ...

علماً منذ العصر ... العسكر ... على
مقر الخلافة ... في عصر هذه الدولة ...

فتصدت لذلك الخطر الصليبي الزاحف من أوربا، ثم جاءت قسمة العروبة من حضارتنا وظهر ذلك التناقض الذي زعموه بين الإسلام والعروبة كمحاولة لإبراز الرباط الديني الذي يجمعه حاكموه بمحكوميه وتغييب رباط القومي الذي يستشعره محكوموه كي يصبحوا مستعدين عن كونهم لدى السلطان غرباء عن قوميتهم. ففقدت حضارتنا وجهها المعبر عنها وغابت قسمة الحوار والتوازن التي طبعت هذا الروح فكان أن حلت مرحلة التراجع والجمود. تلك المرحلة التي تمثلت بالسيطرة العثمانية على أغلب أقاليم العالم العربي. واستمرت حتى ظهور حركة التجديد والنهضة في عصرنا الحديث. والتي كان غايتها كي تستعيد لحضارتنا استقلالها، أن تبعث وتطور القسمات التي ميزت هذه الحضارة وضمنت لها هذا الاستقلال. وعلى وجه التحديد قسمات:

أ- السلفية الدينية

فتنقض بها عن العقائد الدينية ركام البدع والخرافات والإضافات التي تراكمت عليها في عصر الجمود المظلم. وتعيد بها إلى الدين جوهره الأهم وروحه الأعظم وهو «التوحيد الديني» في العقائد والعبادات. ومن ثم تعيد إليه طاقة الفعل والخلق والإبداع على الجبهة الحضارية.

انظر في تفصيل ذلك كتابنا: الإسلام والعروبة والعلمانية. طبعة بيروت سنة ١٩٨١م.

ب- الاستنارة والتمدن:

في شئون الحضارة وعمران الدنيا وتعمير المدن والعمران، حتى تستطيع الأمة فتح نوافذ عقلها على الحضارات الأخرى وتجارب الأمم التي تقدمت، وتحصنه عقلها فتتمكن من التمييز بين تراثها الخلاق المحرك لملكاتها المبدعة والباعث لإمكانياتها الخلاقة، وبين تراث عصر التراجع والجمود، الأمر الذي يعينها على الموازنة بين «الماضي» وبين «العصر» الذي تعيشه و«المستقبل» الذي تفكر فيه

ج- عروبة السلطة

في المجتمع، حكومة وإدارة وحسبة، وتعليما وثقافة وتشريعا، حتى تضمن سيطرة الفكر والروح التي جعلت «التوحيد» هو مزاج التميز لحضارتها في عصر الازدهار.

ولقد نجحت حركات التجديد والنهضة ودعوات الإصلاح في تنمية أدوات التجديد هذه واستخدمتها بكفاءة واقتدار كبير نجحت في التعبير عن طموح الأمة لتجاوز عصر توقفها الحضاري، والدخول بمشروعها الحضاري المستقل عصر النهضة والإحياء

دعوات التجديد السلفية واستقلالنا الحضارى

بدأت نهضة أمتنا في عصرها الحديث بظهور حركات سلفية التي رامت تجديد الدين وصبغ المجتمع بصبغة هذا الدين بعد تجديده. وكانت «الدين» حركات التجديد هذه – أي اتخذها الدين سبيلا للبعث القومي والحضاري – التعبير الحقيقي عن تمكن الإسلام ودوره في أي مشروع لانقاذ هذه الأمة وتجديد حياتها.

ومنذ البدء كان واضحا أن هذه الدعوات والحركات التجديدية السلفية تواجه خطرين رئيسيين وعدوين أساسيين:

أولهما:

«التخلف» الذي صنعته وكرسته فكرية العصور الوسطى المظلمة، فكرية عصور تسلط المماليك وسلطان العثمانيين «التخلف» عن جوهر الإسلام وحركته الحيوية وطاقته المبدعة – عقيدة كان هذا الإسلام، وشريعة. فلقد حلت تلك العصور محل الإسلام الحق نسقا فكريا مثقلا بالشعوذة والخرافة والسلبية والتواكل، بعد أن أضفت على هذا النسق قداسة الدين.

وتشحيما

تقدم [illegible] تستحق به ان [illegible] الاستعمار في هجمته الحديثة على ديار العروبة وعالم الإسلام [illegible] التي تهدد مقدرات الأمة واحتلال أرضها وطمس شخصيتها القومية وإزالة مقوماتها الحضارية كي تصبح هدفا للذوبان في الاحتلال أو الأسر أو التقسيم والتفكك وطمس الحضارة بوجه عام

ومن بين الدعوات والحركات السلفية الدينية التي حافظت على الأمة على وقع خصوصيتها كانت الوهابية والسنوسية والمهدية ومن أبرز هذه الدعوات والحركات وهي وإن جمعتها غايات التجديد والإصلاح على أسس دينية سلفية [illegible] الحضارة مقاصد انتمائية تكشف عن تباين من تباين ظروفها وغاياتها ظروف الواقع والبيئة والتكوين على القادة والدعاة والجمهور وأساليب التحديث التي واجهت هذه الدعوات والحركات في البيئات المتميزة التي نشأت فيها

١- الوهابيـة

في بيئة بدوية بسيطة هي نجد بشبه الجزيرة العربية ولد ونشأ محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م]

وكانت البساطة الفطرية والبدوية غالبة على موطنه نجد، وعلى عصره. وكان محمد بن عبد الوهاب متأثرا بما عرفه من فقهاء الحنابلة عنهم علوم الدين، كما درس على علماء مكة والمدينة، وكان نزوعه المبكر إلى النهج السلفي الرافض لما طرأ على عقائد الإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبد الوهاب فوجد عامة الناس يتخذون من الأولياء والوسائط شفعاء إلى الله يتوسلون إليهم ويقصدون أضرحتهم ويستغيثون بهم في الملمات، كما وجد البدع قد أصابت العقائد والعبادات بالتشويه والنقص، فلما عرض صورة إسلام عصره هذا على حقيقة إسلام السلف، وجد أن الإسلام الأول - إسلام السلف - قد أصبح غريبا، فكان أن وجد نفسه في ذات الموقف الذي وقفه إمام السلفيين القدماء الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١هـ ٧٨٠ - ٨٥٥م] عندما دعا إلى العودة لإسلام السنة

لحرية الأمة الإسلام ما قبل عصر الفتوحات وما آخر تكفي لاستيعاب عبث النصوص، وربما حاجة إلى العقلانية الكلامية والفلسفية وما تحمله من قياس ورأي وتأويل.

وكانت سمة تحرك السلفية كمرجعية للإسلام استخدام أبسط ظواهر النصوص تكفي للاحتجاج عن علاقات مستقيمة أسست الشبيه، كما تكفي لتصحيح معتقدات وتصورات وإعادة عدالته إلى صورة الإسلام الصحيحة والسنية.

[illegible] ابن عبد الوهاب يدعو إلى الإسلام السلف، ويسير بفكر ابن حنبل، وابن تيمية [٦٦١ ٧٢٨هـ ١٢٦٣ ١٣٢٨م] وابن قيم الجوزية [٦٩١ - ٧٥١هـ = ١٢٩٢-١٣٥٠م] ويركز على إصلاح العقائد وتقويم التصورات وتصحيح العبادات، فحكم بالشرك الظاهر والخفي على المتوسلين إلى الله بالأولياء والصالحين والمشاهد والمزارات والرموز، بل رأى أن شركهم هو أعظم من شرك الجاهلية الأولى[1] [illegible] - كما صنع أعلام السلفية الأوائل - [illegible] بتحكيم ظواهر النصوص فيما هم [illegible] حتى لو كان صحيحا [illegible] وعرض [illegible] في فهم النصوص وتفسيرها [illegible] وعن [illegible] الرأي [illegible] له بحسب النصوص.

[1] انظر [illegible] [illegible] الإسلام [illegible] طبعة [illegible] سنة ١٩٩٣م [illegible] ١٩٨٩م.

[2] [illegible]

[3] [illegible] ٨٧

[4] عبد الكريم [illegible] الدعوة [illegible] ص ١٢ [illegible] ١٩٩٠م

وكان طبيعيا أن يحظى هذا الاتجاه بتأييد المفكرين [illegible]

الوسطي [illegible] [illegible] [illegible] عنه

ولم يقف موقف المصادم عند الحدود الفكرية فلقد كان من عند الوهاب أكثر من سبح واعظا من فقيه وأكثر من داعية ومن ثم فإنه لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها أو مذهب فقهي ينشر به أو حتى حلقة من الأتباع والمريدين لقد رأى أن تكون لدعوته دولة تحمل بها التطبيق والانتشار والاستمرار فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وقد زاد هذا الفرد وضوحا في احتمالات الصدام ومن حملة مع حلفاء آل عثمان

عندما بدأ عبد الوهاب الجهر بدعوته التي [illegible] دعوته في العيينة عرض مذهبه على رئيسها عثمان بن أحمد بن معمر الذي [illegible] الدعوة فعقد معه عهدا [illegible] عهد [بيعة لا إله إلا الله] ويشرع في العمل لاقتلاع عقائد الشرك وزيارة [illegible] [illegible] الله [illegible] وأعرابه [illegible] [illegible] [illegible] ومن مقدمة من عبد الوهاب [illegible] [illegible] [illegible] واقتلاع الأشجار [illegible] الرموز [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تقربهم بزعمهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الخطاب [١٢هـ ٦٣٣م] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ابن عبد الوهاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أمير [illegible] عن الإمداد عن هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

١ [illegible]

فخشي عثمان بن معمر عواقبهم فنصح ابن عبد الوهاب بمغادرة العيينة خوفاً على حياته فغادر العيينة إلى الدرعية سنة [١١٥٨هـ - ١٧٤٥م].

وفي الدرعية تحالف مع عبد الله [illegible] محمد بن سعود [١١٧٩هـ - ١٧٦٥م] [illegible] آل سعود السياسية [illegible] نجد [illegible] **دعوته على حجاج بيت الله** الحرام [illegible] آل سعود [illegible] الحكم [illegible] على خليفة المسلمين العثماني.

وكان ابن عبد الوهاب يقود الجهاد في طليعة جيش ابن سعود فهاجموا كربلاء في العراق وسيطروا على [illegible] والعتبة المقدسة [illegible] سنة [١٢١٦هـ - ١٨٠١م] ودخلوا المدينة المنورة سنة [١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م] [illegible] في [illegible] البقيع وفي عام [illegible] بن سعود [illegible] مكة [illegible] [illegible] وهكذا [illegible] آل سعود والسلطة [illegible] على الحرمين [illegible] الاجتماعية والفكرية [illegible] السعودية [illegible].

لكن العثمانيين [illegible] في مواجهة [illegible] محمد علي باشا والي مصر الذي [illegible] الوهابية [illegible] عليها [illegible] الدرعية في [٧ ذي القعدة

سنة ١٢٣٣هـ - ٨ سبتمبر سنة ١٨١٨م] بعد ستة [illegible] من الحصار. وبعد ثلاث [illegible] على ظهور [illegible] عادت من عبد الوهاب [illegible] حتى تيسر لها [illegible] في [illegible] على يد عبد العزيز بن سعود [١٢٩٣ - ١٣٧٣هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٣م]

■ كانت الوهابية على جبهة التجديد والسلفية [illegible] حركة تجديد سلفية [illegible] في بيئة عربية [illegible] لم تعرف الفكر [illegible] الحركة فكانت صورة إسلامها هي صورة الإسلام العربي الأول في عصر صدر الإسلام. ومن هنا كانت ثورة تجديدية ضد صورة الإسلام العثماني [illegible] التقليد [illegible] العصر الذي فقدت فيه حضارتنا [illegible] الإبداع وقسمات الاستقلال. وكان التوحيد الإسلامي الخالص كما بشرت به الوهابية، إسهامًا في إعادة روح العصر والاستقلال [illegible] الحضاري لأمتنا على جبهة العقائد واستعادة [illegible]

■ والوهابية، كامتداد للفكر السلفي الرافض [illegible] الفلسفة اليونانية في حضارتنا، قد تبنت إبداء أعلام الفلسفة [illegible] في صناعة منطق إسلامي متميز [illegible] بدلاً من منطق أرسطو الذي تبناه عدد من فلاسفة المسلمين أو تأثروا به [illegible] هذه [illegible] كانت السلفية [illegible] عربية إسلامية

استقلالية تمثلت وتجسدت في إبداع الإمام الشافعي محمد بن إدريس [١٥٠ - ٢٠٤هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠م] في أصول الفقه التي قدمها في مقابل منطق أرسطو الذي رفضه الشافعي لارتباطه باللغة اليونانية، يستحيل أن يكون منطقا لأهل اللغة العربية. وتمثلت هذه الجهود بإبداع المتكلمين المسلمين من المعتزلة وغيرهم الأصول الأساس في علم الكلام الذي رفضوا فيه منطق أرسطو لارتباطه بالميتافيزيقا الإغريقية اليونانية الوثنية التي لم تعرف الوحي ولم تعترف به، والمخالفة لإلهيات المسلمين والإسلام.

ولقد توج ابن تيمية هذه الجهود التي تمت على درب التحرير والاستقلال الحضاري بنقده لمنطق أرسطو الذي رآه مقيدا للعقلية الإسلامية بقوالب صناعية متكلفة وحابسا لنفوسه الكلية الثابتة دون الوفاء بالحاجة الإسلامية المتغيرة. وعلما عقيما لا ضرورة له حيث لم يشتغل به الصحابة ولا الأئمة، ومع ذلك فقد توصلوا - كما يقول - إلى كل نواحي العلم. توجت هذه الجهود بتبلور منطق الحضارة العربية الإسلامية الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجريب في مقابل منطق أرسطو القائم على المنهج القياسي، والنابع من روح الحضارة اليونانية التي لم تحفل بالتجربة بقدر ما ركنت إلى النظر الفكري والفلسفي.

وعلى هذه الجبهة الفكرية كانت الوقفة كمقدمات لفكر

(١) د. علي سامي النشار [مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي] ص ١٨٧، ٢٠١، ٢٠٢-٢٠٣، ٢٦٣، ٣٠٥، ٢٧٤، ٣٠٨. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م

السلفي يسهم في الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية ولن تكون بداوة بيئتها، وفقر الفكر الفلسفي عند أعلامها قد حالا إسهامهم في هذه الجبهة متمثلا في رفض التبعية الفكرية، مع العجز عن الإبداع في ميدان التنظير والتصوير.

■ وعلى جبهة العروبة، كانت الوهابية إسهاما في إحياء المبدأ كي تستعيد الأمة هذه القسمة من قسمات استقلالها الحضاري. فهي «كدعوة» و«كدولة»، قد مثلت طليعة التحديات العربية للسلطنة العثمانية المتسلطة على أغلب أقاليم الوطن العربي. ثم هي، في المجال الفكري قد تجددت الإسلامية الشرعية والمشروعية عن ولاية العثمانيين على العرب. عندما تبنت واستردت موقف أغلب فقهاء الإسلام وسائر فقهاء السلفية المنحاز لضرورة توافر شرط العروبة فيمن يتولى منصب الخليفة والإمام.

لقد مثلت الوهابية ... الموقف الفكري والعملي في يقظتنا الحديثة بعدا قوميا لم تصل به إلى حد جعلها حركة قومية عربية بالمعنى المتعارف عليه في الأدب السياسي الحديث. لكنه مثل إسهاما بارزا على درب العروبة الساعية كي تنفض عن كاهلها سلطة الترك العثمانيين.

■ لكن الوهابية تبقى من بين ... التي ... موقف ... من «العقلانية» ومن ... فظواهر النصوص كانت كافية للإجابة على ما تثيره ... من مشكلات وما تطرحه من علامات استفهام ومواريثها السلفية، التي

[illegible] لفلسفة [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

من [illegible] العربي الذي كان ينتمي إلى عالم الإسلام [illegible]

التي فتحها العرب في جدار آل عثمان

ولقد دفع الوهابية على هذا [illegible] في هذا [illegible] خلطها الشديد بين ما هو [illegible] [illegible] يحقق [illegible] فدعت إلى [illegible] كما دعت إلى [illegible] وعجزت عن [illegible] تجديد [illegible] لمقاصد [illegible] والأمر [illegible] الأمس على الرسول عليه الصلاة والسلام [illegible] الوهابية أن «الاتباع [illegible] لا [illegible]» [illegible] [illegible]

ولقد [illegible] الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] عن [illegible] في [illegible] معهم في [illegible] التي [illegible] على طريقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإمام محمد عبده [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] كثيرا من [illegible] عن [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

منه . لا أنهم يرون وجوب الأخذ بما يفيد من تقدم أوربا ، ولكن
به دون التفات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها تدبير
وليس كافي التعود ولا طلب منحت النبوة قد يكونوا ليعلم
ولده ولا ليمويه حياته»

* * *

في هذه المرافئ، وعند هذه الحدود وقفت التوفيقية على حافة
مجال أمينا لاستعادة استقلالها الحضاري، ونهايته في عصرنا
الحديث

لقد استشرت الفلسفة الرسمية ... والتعريف ... لكنها
تخلفت عن مستويين متوحدين بنا الحضارة على جبهة
«التحرر» عندما استندت على هذه الجبهة ... سلفية الدين
«بمستقبله الدنيا ومدنيتها» ... فوقفت صلاحيات فكرتها في
التحرر عند حدود القيمة السوية التي ... وتشوبت فيها
وعجزت عن ... ... الغربية الإسلامية
المتحضرة ذات الفكر المركب والتطور الحضاري المتفرد

( ) نفس المصدر ، ج ٢ ص ...

٢ - السنوسية

تعتبر نشأة تيار السنوسية بمحمد بن علي السنوسي [١٢٠٢ - ١٢٧٦هـ = ١١٨٧ - ١٨٥٩م] عن سناد محمد بن عبد الوهاب وقد ولد السنوسي بقرية الواسطة بالقرب من مستغانم بمقاطعة وهران بالجزائر في بيئة عربية لا تغلب عليها البداوة.

وكان طموحه في العلم والفروسية مصحوبًا منذ النشأة المبكرة عند الشباب، كان يقسم يومه إلى قسمين أحدهما لطلب العلم والآخر للفروسية والتدرب على القتال. وهو قد درس في القرويين بمدينة فاس المغربية والأزهر بالقاهرة وانخرط في عدد من طرق المتصوفة وتلقى العلم على عدد من شيوخ مكة والمدينة.

وكان السنوسي مالكي المذهب في الفقه، وليس بين الإمام مالك بن أنس [٩٣ - ١٧٩هـ = ٧١٢ - ٧٩٥م] وبين «سلفية» ما بين أحمد بن حنبل ومنهج العقلي من خصومة. وفي بيئة غير عارية من تصوف الطريقة والتصوف كوّن السنوسي طريقته، وشرع في بث الدعوة وتنصيب الدعاة.

■ ولقد كانت حركة السنوسية مستمرة لتلك عن سابقتها الوهابية فهي تشترك في الدعوة إلى عقيدة التوحيد لتجديد الدين وفي رفض فكرة السلطة المغتصبة لما اعتور إسلامها من خرافات وزوائد وبدع لكن الطريقة السنوسية قد مزجت «الشريعة» بشيء من «التصوف» وخففت الطرف من «الإشراق» فهي «بالشريعة والبرهان» تجدد الدين عندما تعود إلى منابعه كي تفهم عقائده وشعائره وشرائعه وهي «بالتصوف» تستعين على تربية النفس وتقويم السلوك وصقل الملكات وسمو الوجدان فصحت بذلك نسبتها إلى تيار ملحوظ إلى «الشريعة والبرهان»!

ولقد انتشرت السنوسية على هذا الدرب انتشارا عظيما فهي قد صححت عقائد الذين انحرفوا فيها من الأتباع والمريدين وكثير منهم وخاصة في الصحراء الغربية كانت شوائب عقائدهم «الإسلامية» من سحر ووهم وعناصر وثنية وجاهلية عديدة وهي قد نشرت الإسلام بين أقوام أفريقية كثيرين كانوا وثنيين فقطعت الطريق على التبشير الاستعماري الذي كان يمهد «بالمسيحية» الأرض للنهب والاحتلال والاحتواء ولقد كان لها الفضل في صنع «الحزام الإسلامي» الممتد في وسط أفريقيا من شرقها إلى غربها وإقامة سلطنات وإمارات إسلامية عدة حاربت الاستعمار الغربي وعاقت سيطرته سنوات وفضلا عن ذلك عندما تصدت للاستعماريين الإيطالي والإنجليزي على الجبهة الشرقية وعندما طغت السيطرة الفرنسية على بلاد الشمال الأفريقي

وكانت هذه تحررا هاما وإسهاما بارزا استطاعت السنوسية في صنعه بسلفيتها المجددة تلك على واجهة بث حركة عصر الجمود وخطر الاستعمار الغربي على هوية الأمة واستقلالها الحضاري.

■ وعلى جبهة «العروبة» - عروبة «الدولة» و«الفكر والحضارة» - أسهمت السنوسية إسهاما بارزا ومحمودا. فهي قد نشرت العربية مع نشرها الإسلام في أصقاع جديدة، وهي قد رفضت الاعتراف بشرعية التسلط العثماني على حكم الأمة العربية، فعرفت بذلك وأبرزت موقف فقهاء الإسلام من ضرورة عروبة الخلافة ومرشحيها. وفي كتاب السنوسي [الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية] يدافع عن هذا الشرط من شروط الخليفة ويستشهد برأي أبي الحسن الماوردي [٣٦٤ - ٤٥٠هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨م] ويرفض رأي الذين يشيعونها في غير العرب من المسلمين.

ثم إن السنوسية السياسية قد اتخذت من الدولة العثمانية موقفا يتراوح ما بين الصمت الحذر والمعارضة والعداء. فهي قد رفعت سلاحها ضد الاستعمار الغربي على تخوم وقاتلت الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي خاصة في الجزائر حتى لقد كتب وزير خارجية الفرنسي جبرائيل هانوتو G Hanotaux [١٨٥٣ - ١٩٤٤م] وهو يتحدث عن السنوسية: لأنها تعبير عن الرغبة في كفاح ضد الأوروبيين و«كراهيتهم للمدنية الأوروبية».

وصرح بأن موقفهم من الدولة العثمانية وطاعتهم لها ستنتهي ما إن هددت الدولة من أوروبا

علاقات ... وعبر عن مخاوفه من مخططاتهم المتصورة الأوربية المسيحية الاستعمارية فقال: إن جراثيم الخطر لا تزال موجودة في ثنايا الفتوح وفي أفكار المقهورين الذين أخضعتهم النكبات التي حاقت بهم ولكن لم تثبط همتهم ... ثم يستمر هانوتو في الحديث عن خطر السنوسية على الاستعمار الفرنسي وبخاصة حصن ... فيقول: لقد أصبح الشيخ السنوسي في جهة ليست بعيدة من الأصقاع التي هي أملاكنا في الجزائر، مرهبا خطرا له أتباع وأنصار، ومن مذهبهم التشدد في العقائد الدينية وقد ساروا زمنا مديدا لا يرتبطون بعلاقة ما مع الدولة العلية العثمانية بسبب ما بينها من العلاقات وبين الدول المسيحية [الاستعمارية الأوربية] وهم يطرحون حبائل الدسائس ... وقفت رجالا متعاشا عن كل عمل مفيد يصاحب في طرقه المحوطة بهالة في قرانا وبلداننا كذا ترى الدرويش فقير متدثرا بأردته البيضاء المعلمة بخطوط سوداء يلهج لسانه بذكر الله والصلاة على نبيه لا يلويه عن ذلك شيء وهذا الدرويش الذي ينتقل من خيمة إلى خيمة ومن قرية إلى قرية زاويا حول الأقطاب الأولياء من مشايخ الإسلام ... في القلوب، حيثما حل وأينما توجه، بدون تحفظ والحقيقة ...

وعندما ضغطت الدول الأوربية الاستعمارية على السلطان العثماني عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ = ١٨٤٢ - ١٩١٨م] كي يوقف النشاط السنوسي استجاب لهذا الضغط بعد تمنع

(١) [illegible] ص ١٦، ١٧ [illegible]

وإبطاء. فاستدعى المهدي السنوسي [١٢٦٠ - ١٣٢٠هـ = ١٨٤٤ - ١٩٠٢م] ليقيم في الآستانة في «قفص ذهبي» كالذي أحس فيه ذلك السلطان حمل الدور الأفغاني حول ذات التربيع وفكر المهدي السنوسي يتخلص من هذا القفص متلطفًا بل وبعد مقره بعيدًا في الصحراء الليبية فعبر «جغبوب» إلى «الكفرة». فلما زاد الخطر وقرب انتقل من «الكفرة» إلى «قرو» بالسودان الأوسط.

بل إن السنوسية لم تدرك أن الضعف العثماني قد حول الدولة العثمانية إلى رجل مريض تتصارعت التي تنتظر من خلاله تقوت الغرب الاستعماري كي تنهش ديار العروبة والإسلام. حتى لقد غدا الترك - كما يقول حسن الشريف السنوسي - مقدمة للنصارى [أي المستعمرين الأوروبيين] ما دخلوا محلا إلا ودخله النصارى حتى ليقول المهدي السنوسي: الترك والنصارى واحد، يقاتلهم معًا.

فالسنوسيون، بموقفهم مع العربية ومع الإسلام العربي وبعدائهم لأعداء نهضتنا أوروبيين كان هؤلاء الأعداء أو ترك عثمانيين وأيضًا، بما أعادوا وبعثوا من فروسية عربية في الخلق والفكر، ومما اختاروا أنه من ضرورة عروبة الخلافة وقرشيتها، كانوا أصحاب إسهام عظيم على هذه الجبهة من جبهات الاستقلال الحضاري للأمة العربية الإسلامية.

■ وإزاء قسمة الجمود التي عمت السنوسية بموجب عصرًا عقدت الأنظار ويدعو البصائر إلى الباطل العميق. فالسنوسي كان صاحب نظر في العلوم الطبيعية واقتناء لأدواتها إلى جانب تبحره في علوم الدين واجتهاده فيها. وتمام للخطر الاستعماري بين من

والمحقق والمهدد لكيان الأمة، أدرك الرجال [illegible] لا بد من «المرابطة» بما عناه هذا النظام في تاريخ الإسلام من تخطيط [illegible] وحشد لها في وحدات مقاومة مفترضة تتصدى [illegible] [illegible] لخطر الأعداء [illegible] فكرة [illegible] المؤسسة كمؤسسة متكاملة لصنع الرجال [illegible] وتنمية المجتمع ومجاهدة الأعداء ونشر العروبة والإسلام [illegible] الإسلامي الحديث الذي يجدد روح الرباط و«المرابطة» الإسلامية الأولى التي قال عنها الرسول [illegible] «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»(١) والتي [illegible] وباسمها دولة [illegible] الإسلام بالمغرب حيث [illegible] دولة المرابطين [٤٤٨ - ٥٤١هـ = ١٠٥٦ - ١١٤٦م].

كانت «الزاوية» [illegible] مؤسسة [illegible] [الحرفية] ومزرعة [illegible] ونموذج المجتمع الجديد [illegible] نجد فيها منزلا لقائدها [المقدم] - [illegible] وللشيخ وفيها بيوت للصوفية و[illegible] والفقراء [illegible] لا مأوى لهم، وفيها مساكن [illegible] وقرر [illegible] هذه [illegible] للعامة [illegible] التي تقوم [illegible] الزاوية في منطقتهم [illegible]

وللزاوية [illegible] زراعية خاصة بها [illegible] لحفظ المياه [illegible] جماعية [illegible] بلا أجر يوم الخميس من كل أسبوع [illegible] يوم

(١) رواه البخاري ومسلم [illegible] الدارمي [illegible]

[illegible] في كل اسبوع على الفروسية والصيد [illegible]

الزاوية تقوم على احتياجات [illegible] وتستوعب [illegible]

وتعليم وعلاقات [illegible] لمقر الطريقة الرئيسي

و مقدم الزاوية هو ممثل شيخ الطريقة [illegible]

والوكيل هو المشرف على [illegible] والاقتصادية [illegible]

[illegible] التعليم [illegible] الزوايا ومن هؤلاء [illegible] ومن

[illegible] الزاوية [illegible]

[illegible] في الرواية [illegible] السنوسية [illegible] على

[illegible] الخطر [illegible]

عن [illegible] والاسلام والجهاد في سبيل الله [illegible]

السنوسي [illegible] الارض [illegible] من حولها بانواع الاشجار

ويكثر بها السكان لكثرة الثمار [illegible] فيها [illegible] وتتسع

[illegible] والعاملون فيها بالزراعة والحرف [illegible] عند الله

[illegible] على [illegible] والمساجد

[illegible] الزاوية [illegible] وحدة الخطر المحدق باهلها

الصورة [illegible] هذا [illegible] السنوسي في

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

٣- المهدية

في جزيرة [illegible] على بعد خمسة عشر كيلو مترا من دنقلة بالسودان، ولد مؤسس المهدية [illegible] محمد أحمد [١٢٦٠ - ١٣٠٢هـ / ١٨٤٤ - ١٨٨٥م] في أسرة فقيرة [illegible] بها إمكانياتها الفقيرة عن أن ترسله إلى الأزهر [illegible] كي يتعلم فيه، فاحترف النجارة، لكنه حضر [illegible] الفقهاء [illegible] المحسنين، ومارس التعليم، ثم اتجه إلى التصوف [illegible] حتى ذاعت شهرته وعلا نجمه، وأصبح في الطريقة السمانية خليفة له [illegible] ومريدون، ثم أصبح شيخا لهذه الطريقة سنة [١٢٩٧هـ - ١٨٨٠م].

وكان محمد أحمد طموحا إلى الإصلاح [illegible] المجتمع [illegible] مجتمع على غرار مجتمع الرسول [illegible] في صدر الإسلام [illegible] على [illegible] الإصلاح [illegible] الفقهاء والحكام [illegible] [illegible] في عامة الناس.

وفي [أول من شعبان سنة ١٢٩٨هـ / ٢٩ يونيه سنة ١٨٨١م] أعلن محمد أحمد على الناس أنه المهدي، وأن الرسول ﷺ قد جاءه في رؤيا، وكلفه بالمهدية [illegible]

الناس [illegible] الانضمام [illegible] وإلى الهجرة إليه والجهاد معه لإقامة الدين وتحرير البلاد من الأتراك والأجانب [illegible] الإسلام [illegible]

كانت مهمة التجديد والتحرير [illegible] أكثر صعوبة منها في غيره من البلاد [illegible] والتفتت الإداري [illegible] الخطوط [illegible] والفقهاء قد تحولوا إلى أدوات للحكم [illegible] مطامعهم [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] بهم العقول.

وأمام هذه المهمة الصعبة وقف محمد أحمد [illegible] الأسطورة المهدية [illegible] وكانت هذه الأسطورة [illegible] الفعل في [illegible] الأمة [illegible] واستنفارها للجهاد خلف مهديها للتجديد والتحرير والإصلاح.

• • •

■ وقد واكب المهدية [illegible] الثورة العرابية [illegible] توفيق [١٢٦٨ - ١٣٠٩ هـ - ١٨٥٢ - ١٨٩٢م] والاحتلال الأوربي

(١) [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] على [illegible]

الاستعمارى فى مصر وكان هذا التدخل [illegible] إلى بلاد من الغرب التى صعب على الأتراك [illegible] فى هذا الثالوث، المكون من الأوربيين والأتراك وحكومة الخديوية عدوا واحدا وبلاء [illegible]

فبعد معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ = ١٨٤٠م التى [illegible] تجربة مصر [illegible] النفوذ الأجنبى فى مصر خاصة [illegible] حكم محمد سعيد [١٢٧٠ - ١٢٧٩هـ = ١٨٤٥ - ١٨٦٣م] والخديو إسماعيل [١٢٧٩ - ١٢٩٦هـ = ١٨٦٣ - ١٨٧٩م] [illegible] الخديو توفيق [١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م] [illegible] الذى كانت إدارته للحكومة الخديوية المصرية [illegible] تعيين [illegible] من الأوربيين حكاما على أقاليم السودان [illegible] حكم [illegible] حكم السودان [illegible] حكم [illegible]

وكان السودانيون يسمون الحكم الخديوى بالحكم التركى ويصفون حكامهم بالأتراك [illegible] مبررات هذا الوصف عندما [illegible] الخديوى توفيق [illegible] والأتراك ضد الثورة العرابية

وكانت [illegible] الحكم التركى [illegible] السودان وبأهله حد المأساة!

وأمام هذه الحركة [illegible] فعل المهدية معاداتها للأتراك فهم «كفرة لا [illegible] وهم أعداء لا [illegible] حتى في الزي والعادات والتقاليد ولا [illegible] منهم إلا السيف».

يقول المهدي لأتباعه في حادثة ومنشوراته [illegible] مراد [illegible] قسمة غريبة معادية للسيطرة التركية» يقول «اتركوا كل ما يؤدي إلى التشبه بالترك الكفرة، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: قل لعبادي المتوجهين إلي لا يدخلون مداخل أعدائي ولا يلبسون ملابس أعدائي فيكونون أعدائي كما هم أعدائي، فكل الذي يكون من علاماتهم ولباسهم فاتركوه».

وهو يحدثهم عن أن رسول الله ﷺ قد أمره بذلك وحرضه عليه فقد [illegible] الترك واحد من [illegible] المهدية فيقول لأتباعه «لقد حرضني سيد الوجود ﷺ على قتال الترك وجهادهم بعد أمرني النبي أمرًا صريحًا بقتال الترك وخبرنا بأنهم كفار لمخالفتهم أمر الرسول [illegible] ولإرادتهم إطفاء نور الله تعالى الذي أراد به إظهار عدله وقد أعلمني الرسول أن الترك لا تطهرهم المواعظ بل لا يطهرهم إلا السيف [illegible]».

وهو يذكرهم بظلم الترك وعسفهم فيقول [illegible] إن الترك قد وضعوا الجزية في رقابكم مع سائر المسلمين وكانوا يسحبون

(١) [illegible] المهدية ص [illegible] محمد [illegible] سنة ١٩٦٩م

(٢) المصدر نفسه [illegible] ١٤ [illegible] ٣١١، ٣١٢، ٣٣٢

رجالكم، ويسجنونهم في القيود ويأسرون نساءكم وأولادكم ويقتلون النفس التي حرم الله بغير حق، وكل ذنب لاحق بحريته التي لم يأمر الله به ولا رسوله، فلم يرحموا صغيركم ولم يوقروا كبيركم.

فسحق قومية سحيقة عربية استشعر فيها روح المغايرة» للأتراك. وكان هذا إسهاما بالمقدمة على درب التمايز القومي عن الأتراك العثمانيين.

* * *

• وإذا كانت الحركة الفكرية التي قامت بها حركة التصوف و[illegible] فيه الخرافة والشعوذة كانت دعوة جديدة في سياقة تحرر العقل من هذه القيود والأغلال التي عطلت دور العقل الإسلامي وكشف عن هذا الفكر الراكد [illegible] فقدت مقاصده الحقيقية فدعت الشيخ إلى العودة [illegible] والمفسرين التي [illegible] وخرافاتها [illegible] وتفسير التصرف [illegible] لعصرهم [illegible] في [illegible] لعصره ولقد [illegible] لا تعرضوا بين نصوصكم وعيونكم عن [illegible] ولكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال وقد نسخ الأنبياء تنسخ في زمن النبي، على حسب مصالح الخلق وكذلك الأحاديث ينسخ بعضها البعض على حسب المصالح نحن نقول شر

[illegible]

من سلف من المهديين السابقين على نهج محمد ﷺ فاتبعوا أحسن كلام الله في القرآن ولا تتبعوا [illegible] الزمان وقد بايعتموني على أن لا تشركوا بالله شيئا

لقد عادت المهدية على الجبهة الفكرية لتستلهم الصحابة الأولى فالمهدي خليفة الرسول وخلفاؤه هم خلفاء الراشدين الاربعة، وهم قد تخطوا بذلك تجارب الأمة المأساوية التي مزقت الشمل وفقدت حضارتنا الاستقلال. وعلى الجبهة الفكرية ألغت المهدية المذاهب الفقهية أو حولتها إلى تراث تاريخي ودون «المهدي» في بعض أحكامه الفقهية لم يلتزم بمذهب معين وإن [illegible] وإن أصبح أقرب إلى المذهب المالكي أكثر من غيره. كما ألغت «الطرق الصوفية» وتراتيب الخرافي. وعادت تستلهم الكتاب والسنة وتعفي من قدر المتصوفة في تفسيرهم لنصوصهما [illegible] [illegible] [illegible] الاجتهاد في هذه المهدية المحددة

وكانت هذه المهدية لا بكرا على درب الاستقلال الحضاري للأمة

• • •

● وعلى الجبهة الثقافية وحدت المهدية في حقيقتها الفكر الاجتماعي للإسلام بالفكر الفطري الذي تبنى حقيقة المجتمع السوداني العفي والبسيط، والذي لم تنتصر فيه بعد الاستقلال [illegible] [illegible] ورسخت وعرفت كما وجدت فيها بعلامة الثوري الناجع للمطالب الاجتماعية التي [illegible] [illegible] [illegible] وكتوا [illegible] قروش تطاول عليها الاعداء

(١) المصدر السابق ص ٣٨٨، ٣٩١

لقد انحاز الحكام والفقهاء الى صف أعداء «المهدية» وهؤلاء هم المتمتعون بالظلم الاجتماعي الذي ساد في السودان فعندما نادى «المهدي» وأنصاره فإن أغلبيتهم الساحقة من الفقراء من الحفاة والفقراء والاعراب، الذين حرموا من الثروة ومن التعليم حتى و«المهدي» قد استنفر جماهيره الى الجهاد بالجنة الموعودة وهيأ لهم سبل العيش وأدوات الجهاد بالجماعة الاسلامية التي قدمها لهم في الثروات والأموال والاقتصاد

وعندما كان خصوم «المهدية» يعيرون أتباعه بالفقر وضعفهم في المال والتعليم كان «المهدي» يفخر ويفخر على هؤلاء الخصوم بهذا الفقر فيرد بشرف ويتمسك هو وأتباعه في سبيل الصالح المبقور إن أتباع الرسل كانوا هم الضعفاء والجهلاء أما الملوك والأغنياء وأهل الترف فهم متبعوهم لأنهم خرجوا ديارهم وقتلوا شرائهم وسكوهم بالقهر كما قال تعالى حكاية عن قوم نوح ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾[1] وقال تعالى ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾[2] ولقد قال أهل النعيم والطغيان عن أتباع «المهدي» بأنهم الاجلاف الاعراب عراة الاجساد جياع الاكباد فلم ينفعهم عندهم من ضرب عليهم الذلة والمسكنة وجعلهم الله عندهم الضعفاء الاعراب

(١) هود ٢٧
(٢) سبأ ٣٤ ٣٥

الذين كانوا يستثيرون بهم وكيف يرجع منهم الكثير للأعداء ومن ورائهم عشيرته لسد [illegible] حيلات والأعذار.

ويرد المهدي على خصومه من الأثرياء والمحتجين المدافعين عن الثروة بحجة أنه كان في صحابة رسول الله ﷺ من كانوا أغنياء يملكون أسباب الثروة يرد المهدي على خصومه هؤلاء ويدافع بمنطقهم فيقول [illegible] إن الصحابة الذين كانوا أثرياء لم يحبسوا عنهم إلا بعد إخراج حق الله حتى يشكرون الله في أموالهم ومن كان منهم ذا مال فيرى أنه كان في أيديهم لا في قلوبهم وكانوا عليها كالوكلاء ينفقونها حسب أوامر موكلهم ومولاهم وبذا قال الله فيهم "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه"[3] وقد نقل "وأنفقوا مما مكنكم [illegible]"[4] آخر صحابي دخولا للجنة عبد الرحمن بن عوف لكثرة غناه وهو أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي

وانطلاقاً من هذا الفكر الإسلامي أصبح [illegible] مجتمعة وتستجيب لضرورات المجتمع السوداني وطبيعته قدم المهدي التجربة الاجتماعية المتميزة عن التطبيقات العثمانية والمستركة وعن مطبقات الحضارة الأوربية في الأموال والاقتصاد. ففي تطبيقاته بالمهدية كان المناصرون يعطون أنفسهم وأموالهم ومن هنا برز الانتساب للجماعة و [illegible] وفي الأرض

١ منشورات المهدية ص ٣١٢ ، ٣١٤
٢ الإسلام [illegible]
٣ الحديد ٧
٤ منشورات المهدية ص ٣٢ ، ٣٤ [illegible] ٣٦٦

النزعة وفق سلطته عند الحد الذي يستطيع الإنسان [illegible]
يزرعه وما زاد على ذلك تعطيه لأخيه المؤمن المحتاج [illegible]
الدكاكين والوكالات التجارية والقصور والمعاصر
والطواحين ومواشي السفر المسرع [illegible] والحدائق [illegible] فقد
عنونت كأنها مصالح عامة فهي للمحتاجين والمستحقين

وفي هذا المقصد الاجتماعي [illegible] للإنسان
المقدير لكفته [illegible] له من احتياجاته الضرورية دون [illegible]
على الضرورات [illegible] فهو [illegible] فيه ضرورته وما زاد على
الضرورة إنما هو على العبد [illegible] ومصالح الخلق كلها
متعلقة [illegible] كما يقول المهدي

هكذا [illegible] على [illegible] الاجتماعي
[illegible] الإسلام [illegible]
الضرورات [illegible]

[illegible] المهدية [illegible]
يستلهم الأسطورة التراثية التي [illegible]
الأسطوري الذي تعده السماء ليحقق [illegible]
من مأزقه، فيملأ الأرض عدلا بعد أن امتلأت بالجور والفساد

* * *

هذا عن دعوات التجديد الديني السلفية [illegible]
والسنوسية والمهدية [illegible]
الأقطار من [illegible] الاستقلال الحضاري

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٨ [illegible] ٢٦١

ولكن هذه العوامل [illegible] لا تكون [illegible]

من [illegible] تولى [illegible] حقبة [illegible] أصحاب [illegible] والواقع

[illegible]

[illegible]

[illegible] وهي

مدرسة "الجامعة الإسلامية" التي [illegible] جمال الدين

الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م]، والأستاذ الإمام محمد

عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] وعبد الرحمن

الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢م]، وعبد الحميد

بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] فتيار

[الجامعة الإسلامية] هذا قد استفاد من تجارب سبقت في هذا

المجال ولكن وجدت عنده

أ- السلفية في الدين [illegible] والعقلانية [illegible]

ب- العروبة في [illegible] على أساس حضاري [illegible]

ج- [illegible] بين الخصوصية الحضارية وبين الاستفادة من

الحضارات الأخرى

د- [illegible]

هـ- الموازنة بين الخصوصية القومية العربية وبين الرابطة

الإسلامية [illegible] الإسلام

ففي فكر [illegible] الذي [illegible] التحرر [illegible]

[illegible] الاستقلال

الحضاري لأمة العروبة الإسلامية

النهضة المصرية والاستقلال الحضارى

الأمر الذي لا شك فيه أن النهضة المصرية التي عرفها محمد علي باشا الكبير [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩م] هي التي دخلت بعالمنا العربي وشرقنا الإسلامي في رحاب عصر اليقظة والبعث والإحياء: العصر الحديث.

لقد تطلعت مصر إلى هذه النهضة على عهد حكم علي بك الكبير [١١٤٠ - ١١٨٧هـ = ١٧٢٨ - ١٧٧٣م] ثم جاءت الحملة الفرنسية [١٢١٣هـ = ١٧٩٨م] لتنبه الأذهان بواسطة الحضور القادم في ركاب الغزو الاستعماري [illegible] الذي لم تحقق صحوته قيمتها ولم تكن استجابة لحقيقة [illegible] كي نستشرف معنى العصر [illegible] المعاصرون. ولقد تجسد هذا الأمر في [illegible] الذي خالط علماء الحملة الفرنسية الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥٠هـ = ١٧٦٦ - ١٨٣٥م] والذي [illegible]

لمصر ونقلت إليها من العلوم والمعارف ما ليس قبله ... ثم جاءت التجربة الإصلاحية التي قادها محمد علي لتصنع أغلب النسيج الحديث في الممارسة والتطبيق.

صحيح أن دعوات سلفية قد سبقت النهضة المصرية هذه في بلاد عربية وحدوث التحدي الخطر المتخلف الذي [illegible] المؤرخون عن العصر المملوكي العثماني والذي شل [illegible] الأمة وملكات عقلها فجمدها [illegible] النهوض ثم حضور الاستعمار الغربي [illegible] الذي جاء في ركاب الغزوة الأوروبية الحديثة [illegible] الأرض وحملا [illegible] الاستراتيجية [illegible] وتكريسه [illegible] الأمة المتحضرة [illegible] عن [illegible] منها الغربية الإسلامية [illegible].

لكن هذه الدعوات السلفية التي سبقت النهضة المصرية في الزمن، لكنها قد سلكت طريقا يختلف عن الذي سلكه محمد علي وهو يسعى بمصر في طريق النهضة والإصلاح.

■ [illegible] الوهابية مثلا قد كانت [illegible] الريادة [illegible] مبكر ولكنها [illegible] النهضة المصرية [illegible] في [illegible] كما قدمنا [illegible] محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م] في نجد [illegible] الجزيرة العربية [illegible] إلى تحالف ابن عبد الوهاب مع أمير الدرعية محمد بن سعود [١١٥٨هـ ١٧٤٥م].

■ أما «السنوسية» فإنها عاصرت نهضة محمد علي ثم استمرت بعدها، فهي قد تبلورت [illegible] كما [illegible] حول

الصوفية وطريقتها عيتها ومؤسسها محمد بن علي السنوسي [١٢٠٢ - ١٢٧٦هـ ١٧٨٧ - ١٨٥٩م]. وأقامت «رواق» هـ ... وكونت ... ومريديها، وأنجزت أعظم انجازاتها خلال القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين.

لكن لا السبق التاريخي الذي كان للوهابية على نهضة محمد علي، ولا الاستمرارية التي تحققت للسنوسية بعد محمد ... أوربا والمستشرقين لنهضة مصر الحديثة ... لواء ريادة الشرق في عصر النهضة والإحياء لهذه ... وإنما يظل لواء هذه الريادة معقودًا لمصر، فهي التي ... العربية، بل وبعالمنا الإسلامي إلى رحاب عصر تجديد ... لهما معالم اليقظة والتنوير.

أما سبب هذه الريادة فهو ما تميزت به ... تلك النهضة عن تلك الحركات التجديدية الدينية السابقة من خصائص ومميزات.. وفي مقدمتها:

أن هذه النهضة المصرية قد نشأت وتبلورت في مجتمع متحضر سبقًا وفي مناخ بناني ... على طبيعة دول الوطن العربي وعالم الإسلام ... والدولة المركزية القوية ... لها في مصر طول عمر في تاريخ «الدولة» على الإطلاق.

والطبقات الاجتماعية متبلورة إلى حد كبير ... المواريث الفكرية قد تجاوزت «التبسيط» إلى «التركيب» ... الأزهر ...

سابقة من قرون العصور الوسطى قد حفظت لمصر كيانها وشخصيتها موحدة ومتميزة حتى في العصر المملوكي العثماني الطويل.

ولتوضيح المقصود لمصر كمركز خلافة أو سلطنة أو كمعسكر على الأقل كولاية تتمتع بالاستقلال الذاتي قد فرضت نفسه وأحدث ثورة على وضع البلاد وعلاقتها بتقاسيم الدولة الإسلامية وولاياتها منذ أن استقل بها الطولونيون في عهد مؤسس دولتهم أحمد بن طولون [٢٢٠ - ٢٧٠هـ ٨٣٥ - ٨٨٤م] وألحقوا بها أقاليم أخرى في المشرق العربي.

ثم تكن مصر بعد الصحراء، ولا هي كانت الصحراء لسنة

ب- كما تميزت هذه النهضة المصرية التي قادها محمد علي باشا، بكونها حركة إصلاح مدني، قادها مصلحون مدنيون ونهضت بعبء قيادتها كوكبة من المثقفين والعلماء والقادة والمديرون الذين تميزوا عن «المصلحين الدينيين»، والذين لم يتقدموا إلى الأمة «كفقهاء وعلماء دين» فالمقاصد للإصلاح كانت «مدنية». والمعايير في هذا الإصلاح كانت مصلحة الأمة والموقف من الآخر في هذه التجربة قد تمثل في:

■ تجاوز الخصومة التقليدية التي رفعها «الإصلاح الديني» و... إزاء ... مع تركيزهم على عالمهم، وترك عالمهم لهم يفتشون فيه ويفكرون له على نحو ما كان الحال قبل عصر النهضة والإصلاح

● وتجاوز ... «الإصلاح المدني» الذي سبقت ... لتجربته وطبقته ماسا بشيء من المسلمات الدينية التي أجمع

الناس على فلسفته أو منكرًا لأمر من الأمور التي عرفت من الدين بالضرورة، وخطط ما يتصور من تصورات أتى اكتسبها فلسفة تنويرية جديدة، حتى إذا سنحت الفرصة لأعلن الإصلاح من غير الأمر لاستقرار بحجة من هذا الإصلاح.

ولم يكن توقف محمد علي هنا من الأمر وعقليته تحتقر فكرة من غير حدود تعتمد على الإسلام في نهضته أداة لاحقة، ولم يؤسس هذه النهضة على التجديد الإسلامي والإسلام ينفصل لا أنه ضد الإسلام وهذا ما يفسر أنه من بدأ الأساس في نجاح في نهضته على نحو ما سبق لقد بنى في نهضته أوروبية وأنت لدى حكم موقف محمد علي هذا وجدت به النهضة المدنية لا بد سفينة الرسمية تعثار وصار للإصلاح هو

١ - أن يرجع لم يكن من علماء الدين وقد أسيء لا بعضه ثم أنه هو بدء من الإصلاح وقادة ولم يكن مسلك بعد لعقيدته كما كان حال بن سعود مع ابن عبد الوهاب

٢ - صورة غدارة لسيئة قبل عصره وقد أسباب أولى من حكمه على وجه الخصوص لم يكن في حسبانه وعقيدته لتعرض الاحترام على من هو في بدء عهده يرجح فالكثير من سيرة الأزهر كانه قد شهدها كأنه تهم ساحة من ... من الأمراء و المضطرب الوقت حتى غدوا رجال دين ... لم يبق ... درجة سوى يفرحون في سعي تحصيله ما لا يليق بعلماء الدين فضلاً عن تصدي منهج لقيادة الإصلاح وفي وصف الجبرتي [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ

١٧٥٤ - ١٨٢٢م] لخصهم هذا التلخيص، وهو يتحدث في [illegible] وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وبعد دروس العلم لا يتعدى حدود [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] كلية وصار [illegible] أحدهم [illegible] أحد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والتقدم [illegible] والأعوان وجروا الحبس والتعدد والضرب وصار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمور الدنيوية والحصص والالتزام وحسابات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والمرافعات والمرسلات، زيادة عن ما هو [illegible] من [illegible] [illegible] والتحقق على الرياسة والتقدم والتكالب على سفاسف الأمور وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية؟

٣- حتى الرجل الذي تميز عن هؤلاء العلماء والشيوخ بالثورية والانحياز للجماهير وهو السيد عمر مكرم [١١٦٨ - ١٢٣٧هـ = ١٧٥٥ - ١٨٢٢م] كان [illegible] [illegible] محمد علي [illegible] على نحو [illegible] [illegible] [illegible] شبه مستحيل [illegible] مع [illegible] [illegible] الأمر لدى [illegible] [illegible] [illegible] مبكر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السيد عمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأوقاف [illegible] هو كذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] السلطة، كي يحول دون انفراد محمد علي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النظام الظالم القديم وهو [illegible] [illegible] [illegible] قاد الأمة ضد هذا النظام القديم[1] فكان [illegible]

[1] [illegible] [illegible] في التراجم والأخبار] ج٧ ص ١٤، ١٥ - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م

تخلص منه محمد علي بقرار، واتفق غياب بعضهم
ومحاصرة تطور يترسبه هؤلاء العلماء

٤ - والفكرية المحنطة والجامدة التي كان عليها هؤلاء الشيوخ فكرية العصور الوسطى، التي شدت إلى غلق باب الاجتهاد، واستمرت الكسل العقلي عن معاودة التحقيق والإبداع، وكتفت بالحركات العقلية في ترديد المتون والحواشي والشروح والتعليقات والملخصات والاعتراضات عليها، الخ. إن هذه الفكرية ما كان لها ولا لأصحابها أن يكونوا منارة الإصلاح ولا قادته الذين يحملون من فكرهم الجديد وجه النهضة، ومن قبله مثل محمد علي السابقين ترويج الإصلاح الإسلامي في تربة مصر وعقل الأمة ووجدانها. لقد كان هؤلاء الشيوخ يعيشون أسرى فكرية العصر القديم بينما كانت البلاد تتطلع إلى عصر جديد، فكان الانفصام بينهم وبين هذه النهضة قدرًا مقدورًا، وصدق عليهم إن «الإصلاح الديني» كان صدوده على محمد علي، رأى الإصلاح الديني شيئًا لا يعنيه.

هكذا عبرت نهضة محمد علي عن حركات الإصلاح الديني ودعواته، لأنها لم تجد المصلح الديني الذي تؤكد بشارته الدينية محضة منحصرًا كعنصر فكر، وإن بدت نهضة «إصلاح مدني»، إن في المنطلقات وإن في المعايير وإن في الغايات وإن في الأدوات، وإن لم يخرجها طابعها «المدني» عن النسق الحافظ لاستمرارية روح شريعة الإسلام

(١) المصدر السابق ج٧ ص٦٧ – ٧٦

■ في الفترة [illegible] انتقلت [illegible] مصر إلى مرحلة جديدة وبلغت [illegible] الأصلاحات إلى حال «كيفي» جديد

ففي الزراعة ألغي نظام الالتزام [١٢٢٩هـ - ١٨١٤م] ووزعت الأرض على الفلاحين تكفيهم من ثلاثة أفدنة إلى خمسة أفدنة، وسيطرت الدولة بالتخطيط على الإنتاج الزراعي، وتطورت المحاصيل، وحدث تطور في الري والصرف وزادت الرقعة المزروعة [illegible] إلى نحو ثلاثة ملايين [illegible] وتحول [illegible] الزراعة من [illegible] إلى فلاحين

وفي التجارة [illegible] سيطرة الدولة [illegible] على السوق الداخلي والخارجي [illegible] البرجوازية المصرية [illegible] التي [illegible] السوق التجاري [illegible] للمشروع الاقتصادي المستقل

وفي الصناعة قامت النهضة [illegible] صناعية كبرى ومتوسطة [illegible] مرتبطة [illegible] الوطني [illegible] عسكرية ومدنية [illegible] وتخطيطها [illegible] في [illegible] ولم [illegible] هذه [illegible] الأجنبية بعد

وفي [illegible] الدولة [illegible] العلمية التي [illegible] دورها في [illegible] وفي تطوير

المكتبة العربية الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible] والفكر [illegible] في [illegible]

[illegible] [١٠ [illegible] ١٢١٨هـ

١٧٨٦ - ١٨٢٣م [illegible] ١٢٣٠هـ

١٨٢٠م] [illegible]

وفي الفكر [illegible] العربية [illegible] الحركة [illegible]

عائدة إلى الفصحى وشرعت المكتبة العربية [illegible]

التراث العربي الإسلامي التي [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

العلاج [illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم هي قد استنفرت محمد علي وجيشه حتى ... [illegible]

... [illegible] هنا في حرب عربية ببلاد العرب ... سنوات

[١٢٢٦ - ١٢٣٠هـ = ١٨١١ - ١٨١٨م] واصبحت مصر في

هذه الحرب هو الحامي الحقيقي للحرمين الشريفين ... [illegible]

مصر ... [illegible] ولاح في الأفق خريطة دولة

صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩هـ = ١١٣٧ - ١١٩٣م] التي

كانت طوق النجاة من خطر قديم عاد الآن من جديد

ثم إن ... [illegible] قد كونت كوادر عربية ... [illegible]

من ... [illegible] الذين أتوا مع محمد علي إلى مصر صغارا،

فنشئوا فيها نشأة عربية جعلتهم يعتزون بالعروبة، وينفرون

من الانتساب إلى الأتراك. وفي مقدمة هؤلاء القادة ابن محمد

علي، إبراهيم باشا [١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ = ١٧٩٠ - ١٨٤٨م] الذي

كان يستنكر نسبته التركية، ويقول: "أنا لست تركيا، فإني جئت

مصر صبيا، ومنذ ذلك الحين مصرتني شمسها وغيرت من دمي

وجعلته دما عربيا"[1]

ومصطفى مختار بك [١٢٥٤هـ = ١٨٣٨م] - أحد كبار

مستشاري إبراهيم باشا العسكريين وناظر المعارف - الذي يعبر

عن هذه «الهوية العربية» عندما يقول: ... [illegible]

موجودين في تركيا ... [illegible] اكتسبنا جنسية [العروبة] مصرية

بحكم ... [illegible] فقد جئت مصر ... [illegible]

(١) محمد عمارة: العروبة في العصر الحديث ص ١٤٦ طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

الآن تراك؟ [illegible]
طريقه إنما سار سوى [illegible] الخراب. ولقد اندمجنا في أمة أخرى أرقى وأنبل وأذكى من [illegible] المركبة، اندمجنا في قلب الأمة العربية التي سبقت أوربا في الحضارة و[illegible] أباد عرقها [illegible] العمران [illegible] في [illegible]

[illegible]

وكانت فتوحات محمد علي في السودان [١٢٣٥ – ١٢٣٧هـ ١٨٢٠ – ١٨٢٢م] والحملة على الشام [١٢٤٧هـ - ١٨٣١م] [illegible] مصر والسودان والأجزاء العربية على الساحل الشرقي لأفريقيا مع الشام و[illegible] جزيرة العربية وامتداد نفوذها إلى العراق والخليج [illegible] في عصره الحديث.

* * *

● [illegible] علاقة هذه النهضة بالإسلام [illegible] الخالدة لأمتنا الواحدة؟

١ المرجع السابق ص [illegible]
٢ المرجع السابق ص ١٢٥ [illegible]

في مجتمع ... من تحديث ... الفكر الإسلامي
وهي كانت صورة لبعض الغرب ... أخرجت محمد علي بلاده
واضحت في تبعية الغرب.

إن البحث يرد ... فحسب على هذا المستوى، بل يجب
لكنه في رائد ... من الرؤية ويضيف نحو.

فمنذ البداية، وإضافة إلى محمد علي باشا يأخذ عن أوروبا التمدن اللازم لمجتمعه الشرقي ولا يأخذ عنها «العلم» و الثقافة و ... والبعثات العلمية التي ذهبت إلى أوروبا وتعلمت ثم عادت لتصنع الأساس لتعليم وتعطي النهضة روحها الفكري ورفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م] نموذج لها - قد رأت أوروبا بعين إسلامية مسلمة فسعت إلى التمدن العملي وإلى العلوم العملية وإلى «المعارف البشرية المدنية» وإلى «فنون الصناعة»، ثم جاءت بها تجديدًا، بينما الأمة مجتهدة في اثبات عدم مناقضة هذه العلوم لما تختص به من عقائد وعقيدة، وقسمات حضارية متميزة لنا، بل وأعلنت أن أصل هذا التمدن الأوروبي هو من علوم حضارتنا في عصر ازدهارها أخذه الأوروبيون فنهضوا به ثم طوروه، وهم عندما أخذوا منا لم يأخذوا العقائد ولا الدين ولا خصائصنا الحضارية، بل ظلوا مستفيدين بالتمدن الإسلامي والعربي في نهضتهم، ومع ذلك ظلوا متميزين حضاريًا، فنحن إذ نأخذ اليوم «التمدن الأوروبي» لننهض به ... في الحضارة ... بضاعتنا قد ردت إلينا كما يقول الطهطاوي.

ونشهد على أن هذا كان موقف هذه النهضة من هذه القضية [illegible] الحكم الذي [illegible] في كتابات [illegible] تقسيم نهضة محمد علي [illegible] عنهم [illegible] على أوربا [illegible] علوم الصنعة ولم [illegible] والتطبيقات، ومصروا [illegible] أنفسهم [illegible] فرنساوي [illegible]

وهذا الذي [illegible] والنهضة التي [illegible]

وغير هذا [illegible] على [illegible] رفاعة الطهطاوي [illegible] بين [illegible] الإسلامي وبين [illegible] الأوربي [illegible] الطهطاوي [illegible] بالإسلام

[illegible] الأوربي [illegible] على [illegible] الاستفادة [illegible] هوية [illegible] الإسلامية [illegible] الحضارية العربية الإسلامية

فهو [illegible] الإفرنجية [illegible] المعارف والآداب التي [illegible] العمران [illegible] الأزهر الشريف [illegible]

(١) [illegible] ص ٩١ [illegible] سنة [illegible]م

[illegible] الحضارة الأوربية [illegible] معرفة [illegible] و علوم حكمية [illegible] لأن [illegible] الحقيقية لأسلافهم [illegible] هذا [illegible] [illegible] الأسلاف [illegible] في أرض [illegible] [illegible] يدعو رفاعة الطهطاوي الأزهريين إلى [illegible] هذا الأمر معقودا على [illegible] في [illegible] معلوماتهم الإسلامية [illegible] فلا [illegible] في [illegible] المصري [illegible]

يقول الطهطاوي: [illegible] مدار سلوك جادة الرشاد و الإصابة منوط بعد ولي الأمر بهذه العصابة - [أهل الأزهر] - التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقدم الوطنية وإن هذه العلوم الحكمية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة

لقد سمع الطهطاوي في باريس ووعى قول المسيو جومار E.F.Jomard [١٧٧٧ – ١٨٦٢م] – الذي أشرف على بعثة مصر العلمية في فرنسا [illegible] في [illegible] رعاية [illegible] الطلاب [illegible] سيكون [illegible] في تمدين الشرق [illegible]

[illegible] ص ٣٣ – ٢٤

له طرب القلوب التي تحب الفخر وتدين بالاخلاص للوطن امامكم مناهل العرفان فاغترفوا منها بكلتا يديكم وبذلك ترنون الى وطنكم منابع الشرائع والقوانين التي رتبت بها عدة قرون في الازمان الخاصة بمصر التي ترنون عنها ستستردون لكم خواصها الاصلية وفرنسا التي تعلمكم وتهذبكم تقر بما عليها من الدين الذي للشرق على الغرب كله

سمع الطهطاوي هذا القول ووعاه فكان مع جملة من رواد النهضة، المجددين لبناء الوطن والباعثين لمجده، والمستردين لخواصه الاصلية على حد تعبير «جومار».

ولهذا وجدنا الطهطاوي في ذات الوقت الذي دعا فيه الى هذا «التمدن المدني» يتحفظ كل التحفظ على ما [illegible] عناصر الحضارية في حضارة الغرب [illegible] فلا [illegible] بين العقل وبين النقل بين [illegible] [illegible] وبين الطبيعة [illegible] لكن عقلانية الحضارة الأوربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حضارتنا [illegible] [illegible] بعض [illegible] [illegible] الحضارة الأوربية [illegible] كيف [illegible] للاوربيين في العلوم الفلسفية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] باسرها محشوة بكثير من هذه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) عمر طوسون [البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد] ص ٣٣، ٣٤ – طبعة الاسكندرية ١٩٣٤م.

[illegible] أو [illegible]
[illegible]

[illegible] لم [illegible] هو [illegible]
الحضارة الأوربية [illegible] والذي لا [illegible]
[illegible] في حضارتنا العربية [illegible]
[illegible]
[illegible] على الأوربيين

* * *

لكن

لابد من الاعتراف بأن الأمور لم يكتمل سيرها في هذا الاتجاه

فالمؤسسة [illegible] المفروض [illegible] عن مقاييس الإسلامية، قد [illegible] بفكرتها [illegible] سلطة ورفضت [illegible] والدولة الحديثة قد حبست فرص الإصلاح والتطوير داخل [illegible] الأزهر وحصنته [illegible] وسائلهم وقامت [illegible] الذي ابتعد [illegible] عن الصلات الحيوية والخطوط [illegible] الإسلام وتراثه.

والغرب قد رمى بكل ثقله في بث إشعاعاته الفكرية [illegible] بنشر قيمه و ثقافته وحضارته على مؤسسات الفكر

[illegible]

وبعد وانحلتم في بلادنا بل لقد تحالف العثمانيون مع الغرب ضد طموح نهضتنا إلى استكمال مقومات استقلالها الحضاري عندما استعانوا بالاستعمار على ضرب استقلال المشروع المصري العربي منذ سنة ١٨٤٠م

ثم كانت منعطفات حاسمة ومراحل تحولات أساسية احتاجت فيها الدولة كي تستجيب لضرورات الواقع الجديد إلى تجديد الفكر الإسلامي بالاجتهاد وإلى تطوير الفقه فقه المعاملات لتتمكن المؤسسة القانونية من الفصل في المعاملات التي استجدت كما حدث في عصر الخديوي إسماعيل [١٢٨٠ - ١٢٩٦هـ = ١٨٦٣ - ١٨٧٩م] ويومها جمد الأزهر المؤسسة الدينية عند التقليد بركوده الدولة من بعد أن اعتبروه ما لا يحل ولا يجوز فكان أن لجأت الدولة إلى القوانين الوضعية الغربية فاستوردتها الأمر الذي أفقد مؤسساتنا القانونية استقلالها وأفقد حضارتنا شرطاً من شروط الاستقلال وكان ذلك توجهاً لسير الدولة في هذه النهضة نحو التغريب وبعداً عن الوفاء لحق متطلبات الاستقلال الحضاري الحق لقد فتح ذلك الباب وكانت المحاكم المختلطة ثغرة في استقلالنا التشريعي قبل الاحتلال الإنجليزي وعلى يد كرومر في سنة ١٨٨٣م

إن المفكر السلفي ابن قيم الجوزية [٦٩١ - ٧٥١هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠م] يحكي لنا عن عصره المملوكي موقفاً مماثلاً فيصور في كتابه [إعلام الموقعين] كيف أدى جمود الفقه

على شريعة الإسلامية الموت والولاء إلى التشريع للناس وفق الهوى والشهوات؟

وقد تكرر هذا المشهد في عصر الخديوي إسماعيل ، فلم يتكرر كلما حضر « في الذكر » من علماء الشرع بالجمود، فعاشوا خارج العصر على حين كان الغرب الاستعماري يسارع في تقديم بضاعته الحاضرة والمنسقة للحكام المتغربين ، ولدى قصارى جهده لتكون هذه البضاعة هي البديل الذي يوضع في التطبيق

• • •

هكذا سارت الأمور حتى دخلت أمتنا إلى منتصف الثاني من القرن التاسع عشر

• الحركات الإصلاحية الدينية السلفية منعتها من وقفة بداوة أبيئة من أن تولى التمدن ما يجعله النموذج الصالح للتعميم والوافي باحتياجات النهضة الكفيلة بمواجهة الغزوة الأوربية المسلحة بحضارتها الحديثة، وأيضا الوفي باستحداث أمة تريد تعويض التخلف وتحصين وضعها لمجابهة ما يأتي به المستقبل من تحديات

• ونهضة محمد علي وخاصة بعد حصاره وفرض القيود على سلطانها قد حرمتها المحافظة الرسمية والجمود الأزهري من فرصة تأسيس تحديثها على أسس إسلامية خالصة فتقدم الغرب من هذه الثغرة فملأ هذا الفراغ في هذه النهضة بحجبه المعرفي، فلم يكن الاستقلال الحضاري لدى دعاة

١ [أعلام ... ص ٣٠٢ - ٣١٣ طبعة بيروت سنة ١٩٨٣

فكان أن ظلت الأمة تبحث عن مصدر فكري ـ في مجمع في أطروحته كل عناصر النهضة الحضارية وجميع شروط استقلالها. وعندما تبلورت هذه الشروط في دعوة [الجامعة الإسلامية] وحركتها على قدرها حمل أسس الانعتاق وعجلت عليه، حاربه دعاة «التغريب»، وأنصار «الجمود» معاً وحالوا بين فكره في النهضة وبين أن ينتشر أو يوضع في التطبيق[1]

لكن ذلك لم يمنع من أن يكون هذا التيار السلفي العقلاني - المستنير - هو أكثر تيارات التجديد التي عرفتها أمتنا الحديثة استجابة لمتطلبات الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية

تيار الجامعة الإسلامية والاستقلال الحضارى

أعلام هذا التيار

أعلام تيار [الجامعة الإسلامية] كثيرون، ومنهم رجال دولة، ورجال بالفكر، قد غطى أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي. وإذا تميز واحد منهم بقسمة فكرية عن آخر، وقد تعلو نسبة الأولوية أو صفة المحددات لدى أن يكون تركيز بعضهم على قضايا بعينها دون بعضها الأخرى، فكلهم في مجموعهم قد شغلتهم القسمات العامة التي صنعت هذا التيار والمحددة له عن غيره من التيارات.

■ وأول أعلام هذا التيار هو جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ – ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ – ١٨٩٣م]. عربي النسب، ولد ونشأ في بلاد الأفغان، ونسبه يرجع إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، وعربي اللغة والفكر. قضى سنواته الأولى في تلقي العلم حتى الثامنة عشرة من عمره، كما قد درس علوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول وكلام وتصوف، والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية وإلهية

والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة وفلك ونظريات الطب والتشريح.

وهو سني المذهب في نشأته، وتوثقت علاقاته الشخصية والفكرية بعلماء الشيعة ومفكريها ومراكزها بالعراق منذ صدر شبابه، مما [illegible] دعوته للتجديد والنهضة [illegible] في [illegible] حيث [illegible] فوق المذاهب التي عرفها المسلمون، لأن سلفيته هي الدين [illegible] المذاهب، وعقلانيته [illegible] [illegible] [illegible] العصر [illegible] ما يريد تحقيقه للأمة من نهضة واستقلال.

وكان [illegible] للاستعمار مبكراً، ولم يكن [illegible] الفكري [illegible] فقط، بل انخرط منذ شبابه في العمل الوطني الأفغاني لدى [illegible] الأمير محمد أعظم خان [illegible] الإنجليزي [illegible] في أفغانستان، ووصل جمال الدين في هذا النشاط الوطني إلى منصب الوزير الأول في البلاد، وقاد معارك حربية ضد [illegible] مع الإنجليز [illegible] الأمير شير علي [illegible] [illegible] [illegible] سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م.

فلما ضيق عليه الإنجليز [illegible] [illegible] الوطن العربي، فوصل إلى مصر سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م [illegible] الآستانة ثم رجع إلى مصر فأقام بها قرابة ثماني السنوات (١٢٨٨ - ١٢٩٦هـ/ ١٨٧١ - ١٨٧٩م) كانت أخصب سنوات حياته الفكرية والنضالية، [illegible] [illegible] ومذهبه في [illegible] والثورة والتجديد.

فعلمهم أستاذ على تلاميذه الأصلي وتعليقات على شرح لـ
كتب قديمة في الفلسفة الإسلامية. وكان عهد مصر قد شهد نفض
بعد النور من أبواب الفكر منذ أن زالت دولة الفاطمية وحلت
«دولة العسكر» نكبات الصوفية وخوانقهم والمدارس الأشعرية
محل [دار الحكمة] و[مجالس الدعاة] ومنهاج [الأزهر] العقلاني

وفيه نشأ ورعى تيار الصحافة غير الحكومية. وكانت من
قبله حكومية في الأساس، فكانت صحف [مصر] التي رأسها
أديب إسحاق [١٢٧٢ - ١٣٠٢هـ = ١٨٥٦ - ١٨٨٥م]
و[التجارة] التي رأسها سليم نقاش، طليعة الصحافة الشعبية في
البلاد. وكان الأفغاني يكتب فيها بتوقيع «مظهر بن وضاح»
كما كان يملي على تلاميذه مقالات ينشرونها بأسمائهم، حتى
نشأت من حوله كوكبة من الكتاب الشبان جددت أساليب
العربية في الإنشاء، وارتحلت بها من «عصر» الحديث

وفيها تبلور من حوله التيار الشعبي في السياسة. ومن قبله
كان جوهر الدولة المصرية هو المصري لتوحيد التسيير. وفيها
كانت التربة الخصبة التي استقبلت بذور أفكاره حتى نضجت
حيث نبتت ونمت واتسعت وآتت من الثمار ما لم تؤت في أي بلد آخر
أقام فيه هذا الفيلسوف العظيم

وفيها أنشأ [الحزب الوطني الحر] نخبة من تلاميذه ومناصري
دعوته، وهو الحزب الذي قاد الثورة العرابية. وبعد هزيمتها هذه
نفر من أبنائه النشأة [الحزب الوطني] الذي قاده مصطفى كامل
[١٢٩١ - ١٣٢٦هـ = ١٨٧٤ - ١٩٠٨م] وبعد آخر منهم انضم

في مجلة [العروة الوثقى] [illegible] الأفغاني [illegible]
[illegible]

[illegible] [١٢٩٦هـ ١٨٧٩م] [illegible] وهذه [illegible] الحركة حتى بعد هزيمة العرابيين [illegible] إلى باريس [١٣٠٠هـ ١٨٨٣م] [illegible] [العروة الوثقى] وصحبة الشيخ محمد عبده [illegible] الثورة العرابية [illegible] [١٣٠٧هـ ١٨٩٠م] [illegible] [١٣٠٨هـ ١٨٩١م] [illegible].

وفي كل هذه المواطن لم تعرف الرجل بصفته حزبية سوى حركة [illegible] على [illegible] والدعوة إلى [illegible] والتجديد، ولم تجد نفسه أسرة سوى الأنصار والتلاميذ الذين [illegible] في [illegible] الاستبداد [illegible] العرب وأبناء الإسلام [illegible] السلطان عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨م] في [illegible] الآستانة [١٣١٠هـ ١٨٩٢م] [illegible] [١٣١٤هـ ١٨٩٧م]

■ وثاني أعلام هذا [illegible] الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] الذي تتلمذ على الأفغاني [illegible]

(١) [illegible]

[illegible] في اشتراك على [illegible] الإصلاح [illegible]

في [illegible] وفي [illegible]

[illegible]

[illegible] (١٢٦١ - ١٣٢٣هـ / ١٨٠٤ - ١٩٠٥م)

[illegible]

[illegible]

في الأزهر [illegible]

[illegible]

[illegible] سنة ١٢٨٨هـ

١٨٧١م [illegible] الكثير [illegible]

في التصوف الفلسفي [illegible]

[illegible]

وفي [illegible] في مصر [illegible]

[illegible] إلى التجديد [illegible]

[illegible]

[illegible] [العروة الوثقى] [illegible]

[illegible]

[illegible] إلى مصر [illegible] السياسي [illegible]

[illegible] مؤسسات [illegible] الأزهر والأوقاف [illegible]

[illegible] الفكر [illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible] اللغة العربية [illegible]

[illegible] في العديد من [illegible]

عباس حلمي [illegible] الكثير من [illegible] الإصلاحية [illegible]

جمود أغلب شيوخ الأزهر قد ضيع جهوده الإصلاحية من ينبوع ما أراد لها في إصلاح الأزهر، حتى لقد صدرت كتابات تسجل هذا الإخفاق [١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م][1].

■ وفي المشرق العربي كان عبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ - ١٨٥٤ - ١٩٠٢م] من أبرز من مثلت أفكاره القسمات الفكرية لهذا التيار. وهي الأفكار التي خلفها لنا في كتابيه [أم القرى] و[طبائع الاستبداد].

ولقد ولد الكواكبي في حلب لأسرة كانت عليها نقابة الأشراف قبل أن يغتصبها منها الشيخ أبو الهدى الصيادي [١٢٦٦ - ١٣٢٧هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٩م].

وفي [١٢٩٥هـ - ١٨٧٨م] أصدر الكواكبي صحيفة [الشهباء] أول صحيفة عربية تصدر في ولاية حلب. فلم يحتملها العثمانيون أكثر من خمسة عشر عددا فأصدر في العام التالي جريدة [الاعتدال]. ولقد وصلت نضاله إلى هجران الوظيف وإفلاس التجارة وتعريض حياته للخطر. ثم قاده إلى السجن [١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م] عندما اضطر العثمانيون إلى الإفراج عنه تحت ضغط جماهير الولاية أطلقوا سراحه ثم عادوا لإلقاء القبض عليه ولفقوا له الاتهام بالاتصال بدولة أجنبية وحكموا بإعدامه. ولكن الجماهير عادت فضغطت فأجبرت العثمانيين على إعادة محاكمته خارج الولاية فعرضت القضية على محكمة بيروت التي حكمت ببراءته.

---

(١) انظر [illegible] في تقديمه [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

وفي تلك الأثناء كتب الكواكبي كتابه [صحيفة أم القرى] وهي الصحيفة التي عقدت مؤتمرها السري بمكة والتي أصبحت محاضر جلسات مؤتمرها هي أساس كتابه [أم القرى] وفي هذا المؤتمر حضر ممثلون للبلاد العربية والإسلامية وشخصيات إسلامية التي تعيش خارج العالم الإسلامي.

ولما ضاقت حلب بالكواكبي وضاق هو بها قرر الهجرة منها إلى مصر فوصلها سنة [١٣١٦هـ - ١٨٩٩م] وفي مصر أفاد من المتناقضات كانت بين حكامها وبين الدولة العثمانية بوجه خاص فنشر كتابيه فصولاً في الصحف، ثم جمع الفصول فصدرت في الكتابين، ومنها قام برحلة في بلاد المشرق العربي وسواحل العربية وشرقي أفريقيا.

وبعد نحو أربع سنوات في مصر ووجه إلى ترتيب مؤامرة دس فيها السم له جاسوس من جواسيس السلطان عبد الحميد فكان استشهاده [١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م].

■ **أما في المغرب العربي** فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ ، ١٨٨٩ - ١٩٤٠م] بعد أن درس في تونس هذا نشأ وترعرع في موطنه قسنطينة بالجزائر وفيها تعلم علوم العربية والإسلام ومن شيوخه في تلك المرحلة أستاذه حمدان الونيسي الذي أخذ عليه عهداً [١] ألا يعمل في الحكومة الاستعمارية فالتزم العهد، وصار يأخذه على تلاميذه من بعد.

(١) انظر [illegible] ١٩٦٩م

وفي السنة التاسعة عشرة من عمره [١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م] ذهب إلى جامع الزيتونة بتونس ليدرس فيه، ثم بعد ذلك استطاع أن يدرس بالجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي الذي كان يحارب العربية وينشر الثقافة الفرنسية للجزائريين كي يستخدمهم ويجعل منهم فرنسيين مستقبلين، ومن ثم يجعلهم امتداد الفرنسي عبر البحر المتوسط في القارة الأفريقية.

وفي [١٣٣٠ - ١٩١٢م] سافر إلى الحجاز، وهناك التقى بعدد من الشيوخ الجزائريين الذين هاجروا وجاوروا بمكة والمدينة فعرض عليه بعضهم أن يجاور، فنصحه أحدهم بالرجوع سريعين ولكنه كان هذا الشيخ يفكر في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر فرفض الهجرة، وقال «نحن لا نهاجر»، وقبل عودته إلى الجزائر اتفق مع الشيخ البشير الإبراهيمي على خطة لتنفيذ البرنامج الذي لخصته كلماته هذه، وكانت الخطة هي إعداد جيل من رجال الدين يوجهون محاولة لبعث الوعي في الجزائر ويعيدون الجزائر إلى العروبة والإسلام وتكوين رجال يمتلكون وضوحا في الهدف وفكرة صحيحة بوطنهم حتى وإن كانوا ذوي علم قليل ويعرفون حدود عملهم التي تنتهي عند تسليم الأمانة لجيل ثان يعلن الثورة ويستخلص الاستقلال من المستعمرين.

وقد مكث ابن باديس ثلاث عشرة سنة بعد هذا التخطيط يعلم أن لا أوقف كتب وإلا صحبة الرجال ذلك بعد في المساجد ويفسر القرآن ويعلم العربية للأطفال ويحفظ

والهند ومصر والعراق، واحتجب به من [١٣٣١هـ - ١٩١٢م] حتى [١٣٣٦هـ - ١٩١٨م] الف من هؤلاء الرجال.

وعندما احتفلت فرنسا بالذكرى المئوية لاستعمارها بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر [١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م] كتب ابن باديس هذا المقال المشهور الذي نشره منذ [١٣٣٠هـ - ١٩١٢م] ثم أسس [جمعية العلماء المسلمين الجزائريين] في [ذي الحجة ١٣٤٩هـ - ماي سنة ١٩٣٠م] جمعية رسمية للعودة بالجزائر إلى هويتها العربية الإسلامية وتمهيد الطريق نحو الثورة المسلحة على الاستعمار.

وكانت الطرق الصوفية سندا أساسيا للسلطة الاستعمارية بالجزائر فحاربها ابن باديس منذ سنة [١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م] وتعرض بسبب ذلك لمحاولة اغتيال [١٣٤٥هـ - ١٩٢١م]

وفي [١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م] بدأ نشاطه الصحفي فشارك في تحرير صحيفة [النجاح] ثم أصدر صحيفة [المنتقد] سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م وكان شعارها الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء. فعطلتها السلطات الاستعمارية بعد صدور ثمانية عشر عددا. ثم أصدر صحيفة [الشهاب] الأسبوعية ثم الشهرية كما أصدر صحفا أخرى تعرضت للمصادرة والإغلاق مثل [الشريعة] و[السنة المحمدية] و[الصراط]

وظل ابن باديس على هذا النهج إلى أن توفي في [ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ - أبريل سنة ١٩٤٠م] كان قد وضع وصيته وعمله نحو جيل الذي عاد إلى حضن العروبة والإسلام والذي صنع حدث الثورة

الصحيحة التي تعرضت ضد فرنسا [١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م] وحتى بزوغ فجر استقلال الجزائر العربي المسلم سنة [١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م] فتحققت النتيجة التي سعت من أجلها تلك الحركة... نحن لا نستطيع نحن حراس الإسلام والعربية والقومية في هذا الوطن ... الإسلام والعربية والقومية ... المجتمع ... من خصائصه ... حراس ... الجمعية الإسلامية ... أعلامه في ... المغرب العربي على الإطلاق.

هذا عن أبرز أعلام هذا التيار

والمناخ الذي تطور فيه

في مصر ... العروبة الإسلامية ... [الجمعية الإسلامية] ... الأفغاني ... الدولة ... إسلامية ... تطورت في محيطه ... موقفا ... كل ... الحكم الإسلامي ... الإسلامية ... إلى ... طريق ...

لقد كان ... مصر ... الدولة ... والتطوير

١ ...

للمجتمع حتى ظهور هذا التيار في سبعينيات القرن التاسع عشر. وهو لم يستمر فقط عبر أجيال الدولة بل تحت مظلة موقف المعارضة في الكثير من الأحيان. ولذلك فإن هذا التيار قد جرى مع التغريب الذي مثلت به تجربة التحديث المصرية خاصة على عهد الخديو إسماعيل [١٢١٩ - ١٢٩٦هـ = ١٨٦٣ - ١٨٧٩م] بحكم إسلاميته وشعبيته لم يقف بحكم موقفه التجديدي عند رفض جمود المؤسسات الدينية التقليدية تلك التي وقفت عند فكرية العصر المملوكي العثماني وإنما أسهم بسببه في تجديد النهضة الحديثة في إسلام الحركة [illegible] فكان أن تسم فكر هذا التيار بسمة "الثورة" المعبرة تحديدا عن العربية الإسلامية عندما طرح بصورة نفسه "المشروع" الحضاري لمستقبل الأمة العربية الإسلامية.

لقد تجسد في تيار "الجامعة الإسلامية" بحث هذه الأمة عن ذاتها وسعيها للنجاة من خطر المد الاستعماري الزاحف "بالاستقلال" الحضاري الغربي والمستعين على [illegible] "بالتخلف" المملوكي العثماني وللنجاة كذلك من "التخلف" المملوكي العثماني الذي تحول إلى قيد يعوق الأمة عن التصدي لعاصفة الاستعمار والتغريب.

ولقد تحول بحث أمتنا عن ذاتها في فكر هذا التيار إلى دعوة للتجديد الذاتي في الدين والدنيا نهض فيها "العقل" بدور المصباح الذي ينير الطريق: طريق الدنيا وأيضا طريق الدين وصولا إلى صورة حضارية مستقلة تصنع تمدنا إسلاميا متميزا، وتكون الصورة العصرية لحضارتنا التي ازدهرت في حقبة سابقة من التاريخ

ان اهل نهضة لا يمكن ان تجد نفسها [illegible]

وفي نفس الوقت سنة هذا العام صحيفة [illegible]

حصد هم وتوحيد لتهتدي فكرهم [illegible] هذا الفكر

من حدود وليس ذلك الا [illegible] فكرهم [illegible]

كما ان لا غنى لاعداء هذه الامة [illegible]

بالتحدي الى صدق خلافة نحو الامة نحو تحقيق اهدافها

فكون الاسلام هو اساس النهضة [illegible]

يعني ان من مأثورات هذا الدين [illegible]

الماضين كل ما تحتاجه [illegible] وعصرها ومستقبلها فهو من

هذا [illegible]

ابوابها [illegible] على لون هذه الابواب [illegible]

وعقائد [illegible]

[illegible]

[illegible]

الاسلام الدين» هو «السلفية في الدين» [illegible]

فكر [illegible] «الجامعة الاسلامية» المستقبلية والاستنارة والانفتاح

في [illegible]

لكلمة الاسلام محمد عبده [illegible]

حكم [illegible] وباحدهم باحكامه [illegible] قد يهتدوا

والقرآن الكريم في [illegible] وما قرر الاولون [illegible]

الآخرون في [illegible]

[illegible] الاوربيين [illegible]

[illegible]

ذلك أن للحضارة العربية الإسلامية موقفاً أصيلاً وقيمة تميز بين ما هو خارج عن الهوية والخصوصيات التي تتميز بها هذه الحضارة وبين ما هو داخل في الأدوات التي تصلح سبيلاً للتصور الديني وتقدمه وللاستدلال والنظر في الموجودات. فالخصوصية والتميز لا تعني الانغلاق وسد المنافذ والأبواب دون التفاعل مع حضارات الآخرين. وقد عرض أبو الوليد ابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨م] لهذه القضية فقال: إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك.

وسواء أكان ذلك الغير مشاركاً لنا أم غير مشارك في الملة، فإن الآلة التي تصح بها التذكية لا يعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة. وأعني بغير المشارك من نظر في هذه الأشياء من القدماء قبل ملة الإسلام(١).

لكن الشرط الذي لابد من تحقيقه حتى ينهض الإسلام بهذا الدور الحضاري والبناء في تحديد «دنيا» الأمة هو أن يتجدد هذا الدين فتتخلص صفحته من البدع والخرافات والإضافات التي ألحقته عصور التأخر عندما تكاثرت بينه وبين حقيقته وجوهره كما تلقاه نبيه، عليه الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى فلا هو ولا من الحكماء لا يبالون بلغوات العلماء لمراتب

(١) ابن رشد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص٢٦ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م. والتذكية هي الذبح.

الأغنياء والرؤساء والقساوسة الجهلاء يحددون النظر في الدين نظر من لا يحتمل تعبير الحق بصريح وبذلك يعدون المواقف المعطلة في الدين [illegible] من شروط النهضة عند نظر عاقل على كل من يتقدم كهؤلاء فيحتاج إلى محذرين يرجعون به إلى أصله الديني (١) كما يقول عبد الرحمن الكواكبي.

فبالسعة العقلانية يتحدد الدين [illegible] قد سعى دوره [illegible] في تجديد الخطاب [illegible] واسطة السلفية المنفتحة على مختلف التيارات الحضارية من حوله [illegible]

الموقف الوسطي [illegible]

وبعد كل [illegible] [الجامعة الإسلامية] تمثل بموقف الثالث والوسطي [illegible] وقدرته في ذلك [illegible] بالمؤسسات [illegible] الفكر عند [illegible] العصر [illegible] في مفكر وعن يسارهم [illegible] العرب الذين [illegible] ورادهم [illegible] للإسلام وتربيته من [illegible] والإمام محمد عبده يحكي كيف نشر تيار [الجامعة الإسلامية] [illegible] الموقف الوسطي [illegible] فيقول وهو يترجم لنشأته [illegible] ومذهبه [illegible] كيف نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من

(١) راجع الكواكبي [illegible] ص ١٦٣ [illegible]

سكن مصر ونحلت همم هذه يدخلون ثم لم ابث بعد قطعة من الزمن ان سمعت الاستمرار على ما يلقون وموقفي في تلك سوء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه ويناديني بالحسرة مما وجدت ودعوت اليه وارتفع صوتي بالدعوة الى تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث في اسرار الكون داعيا الى احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعويل عليها في ادب النفس واصلاح العمل كل هذا اعده امرا واحدا

وقد خالفت في الدعوة اليه راي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الامة

- طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم
- وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم

ثم يتحدث الاستاذ محمد عبده عن موقفه في [illegible] الذي ك[illegible] لا تعني راية [illegible] [illegible] الامة [illegible] ولا الرئيس المصري [illegible] كل روح الدعوة [illegible] عن كثير مما ذكرت [illegible]

[illegible]

فنحن هنا بإزاء موقف [illegible] وموقف [illegible] [illegible]
بتوسطهم في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] السلفية [illegible] إلى [illegible] [illegible]
على [illegible] [illegible] الأمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
معارضة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الموقف مع
[illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] عند [illegible] [illegible]
بعض موقف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لم [illegible] مع
[illegible] والموقف [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
التيار ينتقد صراحة هذا اللون من السلفية [illegible] [illegible] ويرى
أن أصحابه كانوا [illegible] عطلنا [illegible] [illegible] [illegible] من المقدس
فهم [illegible] أكثروا [illegible] من [illegible] وسكتوا عن [illegible] كثيرا مما [illegible]
إليه، وليس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأخذ [illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] دون [illegible] إلى ما تقتضيه الأصول التي [illegible]
عليها الدين [illegible] [illegible] الدعوة [illegible] [illegible] [illegible]
يكونوا [illegible] [illegible] ولا [illegible] [illegible].

وعلى [illegible] [illegible] السلفية [illegible] [illegible] هذه موقف
[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] على [illegible] من
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] من
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] ٣٠ ص ٣١

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] وعلم الكلام [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible] [illegible] جميع الحدود [illegible] العقلية والحقيقية [illegible]

[illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible]

[illegible]

[illegible] لا يقبل فيه المعجزة [illegible] العصر [illegible] يكون العقل
[illegible] نظر في الأكوان طويلاً [illegible] وحتى نصل إلى
الحقيقة [illegible] دون تعقيد [illegible] في كتابه [illegible]
والحق [illegible]
[illegible] كتبه [illegible]
تركت كتبهم تراث للأثرية [illegible]
حتى أصبحت الآن [illegible] باسم [illegible]

والقرآن وهو وحده المعجزة [illegible] إلى
[illegible] فهو معجزة عرضت على العقل وعرضه
أقصى فيها واسمحت له حق النظر في أحكامه وأسرار ما تنطوي
في أثنائها فالإسلام لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي
والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري فلا يدهشك
بخوارق العادة ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة ولا يخرس
لسانك بقارعة سماوية ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية
[illegible] عقل [illegible] نفسه [illegible]
[illegible] على [illegible] بغير عقل [illegible]
[illegible] غير [illegible]
[illegible]
وتذكي نفسه [illegible] لله [illegible]
[illegible] الحمد [illegible] لله [illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible]

ولقد كانت هذه العقلانية الإسلامية عاملاً من عوامل تميز تيار [الجامعة الإسلامية] لا عن سلفية [illegible] والنصوصية وحدها بل وعن أهل الجمود الذين [illegible] توحيد الله [illegible] بالحلول مسقطين لأثر [illegible] على [illegible] ولإنكار وجود القوانين الكونية والطبيعة الثابتة والحاكمة في الكون والمجتمعات.

كذلك كانت عقلانية هذا التيار مميزة له عن تيار «التغريب» الذي تبنى نفر من فيه مادية الغرب فلسفة [illegible] أهلها [illegible] يسلم بوجود السنن والقوانين الثابتة في الكون والمجتمع يستلزم نفي الألوهية والوحي والرسالات.

فبهذه «العقلانية الإسلامية» جدد تيار [الجامعة الإسلامية] نظرة الإنسان المسلم للكون عندما أقام التوازن والتوازي بين «التوحيد» – الألوهية – وبين «الطبيعة» [illegible] السنن والقوانين والعلية والارتباط الضرورى بين الأسباب والمسببات وعندما ميز بين مهام الرسل والوحي وبين عالم العقل وطاقته [illegible] إلى أن «حاجة العالم الإنساني إلى الرسل هي حاجة روحية وكل ما لامس الحس منها فالمقصود منه الروح [illegible] المعيشة، والحدود في وجود الكون [illegible] سهولة العقل إلى درك ما أعد للوصول إليه من أسرار العلم فذلك مما لا دخل للرسالة فيه إلا من جهة العظة العامة والإرشاد إلى الاعتدال فيه كي لا يحدث ريب في الاعتقاد ولا يصيب أحد من الناس شر في نفسه أو عرضه [illegible] بغير حق [illegible] حقيقة [illegible]

و [illegible] لأنه من

عمل الطبيعة [أي خليقته] [illegible] في [illegible]

ليس [illegible] ولا يتوقف على [illegible] وإنه يذكر

مظاهر الطبيعة [illegible] الأعصار والأمصار لا [illegible] ينصرف

العقل إلى البحث الذي يقوى به الفهم [illegible] لا تقرير لقواعد

الطبيعية ولا أثرًا [illegible] في الحقيقة

[illegible] العقلانية الإسلامية [illegible] «السلفي العقلاني» – المستنير – عن «سلفية البداوة النصوصية» وعن «أهل الجمود» وعن «دعاة التغريب».

■ فأنصار «سلفية البداوة النصوصية» [illegible] والتصورات [illegible] لكنهم وقفوا [illegible] ظواهر النصوص [illegible] ولا للمدنية أحباء.

■ و«أهل الجمود» لا يعملون في الأزهر [illegible] الأ [illegible] المسائل الفقهية [illegible] العقل على [illegible] كم [illegible] على [illegible] على [illegible] الأزهر [illegible] والأحكام [illegible] الأمة [illegible] إلى [illegible] يوحي الرعد [illegible] الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

١ [illegible]

٢ [illegible]

[illegible]
العرب [illegible] واصبحت [illegible]
[illegible] التي [illegible] على [illegible]
والعمران [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الطريق [illegible]
[illegible]
من [illegible] الى [illegible] العربية [illegible]
العلوم [illegible] والآداب [illegible] وهو في
الحقيقة [illegible] على [illegible] وسير
الاجتماع الانساني [illegible]
[illegible] انفسهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
ومنهم [illegible] وصناع [illegible]
[illegible] والملابس [illegible] في
[illegible] على [illegible] في [illegible]
من [illegible] فهو [illegible]
[illegible] الصنائع [illegible] الامة [illegible]
[illegible]

تقى الدخول في التغريب كلية حتى لا تفقد الأمة
بنوه وجوهها وخصوصيتها وتفقد الاستقلال الحضاري

* * *

ولكن السلطة السياسية القائمة في رأس الدولة [الخلافة] قد دخلت في موضع الدولة التي كانت في العصر العثماني قائمة بنسبة عريقة على روح الإسلام وهي قديمة الإرث لسلاطين العثمانيين وقد كان فيهم هؤلاء السلاطين من أهل التحول ثم جاءت دعوة التغريب من خصوم الخلافة العثمانية العربية التي تنقض الدين عن الدولة على النحو الذي ضعفت ورث في عصر نهضتنا واحيائنا ومحاولات تدبير الجامعة الإسلامية قد سعى الى تحديث نصرة للمسلم في العقيدة والأمة مرتكن وحدة المسلمين الدينية والترسية ويجب مع عصر فصلهم ودعت عنه في سبيلها ومصر على علاقة لا مرقي مع دعوة الوحدة ولا تسمى الى حد الانفصال وعاد بتأسيس النهضة على فصل مع تحرير مؤسسات الدولة من الصبغة الدينية فالدولة إسلامية وكذلك المجتمع والحضارة لكن السلطة في هذه الدولة مدنية لأن مصدر السلطات في المجتمع هو الأمة والحاكم نائب عنها ومسئول أمامها ومقيد بها ومقيد بقواعد الشريعة والحكومة ناظر بشريعة الإلهية في ذات الوقت وليس هذا الحاكم ظلاً لله ولا سيفاً مسلطاً على رقاب عباد الله

فهذه شئون [illegible] دنيوية بشرية وليست إلهية ومصدرها العقل الإنساني والتجربة الإنسانية المحكومة بعناصر مقاصد الشريعة، وليس مصدرها الرسالات والرسل والأنبياء. وكما يقول الإمام محمد عبده فإن [illegible] ترك للإنسان يبصر الناس بنفسه، لا ببصائر الأنبياء [illegible] ومصالحهم به جهدهم ووسعهم [illegible] العقل والقوى التي وهبه الله إياها ليصل بها إلى ذلك. وقد أرشد [illegible] إلى وجوب استقلالية [illegible] في مسائل الدنيا في واقعة تأبير النخل إذ قال «أنتم أعلم بأمور دنياكم» [illegible] والإسلام لا يرى فصلاً عن أن يسمى بما كانت عليه أوروبا لكنه يشكل في عصورها الوسطى والحديثة عندما «كانت السلطة الاجتماعية مدنية سلطة دينية في نظام واحد لا فصل فيه بين السلطتين، فقد انحصرت من النظام هو الذي بعض البابوات وعملهم من رجال الكنيسة على الجمعة لأنه أصل من أصول الديانة المسيحية عندهم [illegible] كل [illegible] وحدة السلطة الدينية والمدنية من لا يدين بدينهم فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه وما يقول من يرمون الإسلام بأنه يجمع بين السلطتين في شخص واحد، ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر، وهي سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم كما خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم» وليس يقولون إن لم يكن

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٣ ص [illegible]

[illegible] الاستقرار الديني الذي يكون [illegible] و [illegible]
و [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام قد [illegible] هؤلاء الذي سلطة
على العقائد والتفسير للأحكام وكل سلطة [illegible] وحد من هؤلاء
فهي سلطة [illegible] أصلا من أصول الإسلام [illegible] من
[illegible] السلطة [illegible] والإنكار عليهم من [illegible] بعد هدم
الإسلام [illegible] تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند
الجمهور من أهله اسم ولا رسم [illegible] كما يقول الإمام محمد عبده

فلا [illegible] أهل [illegible] ولا
[illegible] [illegible]
[illegible] الدين [illegible] على
الإسلام وتقرير [illegible] للسلطة السياسية في المجتمع [illegible]
الأمة [illegible] سلطات والسلطان

[illegible]

[illegible]

الإرهاب، وقوة الجند [illegible]

[illegible]

وسوق [illegible] وقوة اللغة على الحسود [illegible] [illegible] وقوه أهل [illegible] ووحدة الأنصار في الأحداث

[illegible] الأفغاني [illegible] حديثه عن الشورى [illegible] والحكم [illegible] والحكم [illegible] [illegible] [illegible] صحيح [illegible] هو [illegible] [illegible] [illegible] وقائم ومستقبل.

■ ففي الدين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وحكمت [illegible]

■ وفي [illegible] مشروع حضاري [illegible] [illegible] [illegible] «[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدول [illegible] [illegible]

ويبقى [illegible] [illegible] [illegible] على الإسلام [illegible] [illegible] [illegible] كي يحل [illegible] [illegible] كل الأبواب» [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلامية [illegible] الوسطى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حضارة في عصرها [illegible]

■ وفي الدولة [illegible] هذا التيار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تأسيس الحكم على الشورى [illegible] فكر [illegible] الإسلامي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

العروبة المتميزة في المحيط الإسلامي:

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

(١) [illegible] [illegible] ص ١٨١ - ٢٢٠

(٢) انظر [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ٣٤٦

الإسلامية] موقف … العرب … مصر … العرب … في
المحيط الإسلامي بل … في هذا المحيط
لا يستطيعون هذا … منكرين ومستنكرين
… للفكر … الجامعة الإسلامية (١)
… في … الجامعة … قصد.

لكن … هذا الرأي لا … يكون … عن
النظرة السطحية للأمور … عن تشكل العقلي الذي …
هؤلاء من … الفكر والمواقف التي … [الجامعة
الإسلامية] حول هذا الموضوع.

فالأفغاني … **لقد علمنا، وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية [أي قومية] إلا في دينهم واعتقادهم»** … الأفغاني … الرابطة الدينية التي هي أحكم … التركي بالعربي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم **مقام الرابطة النسبية** … الذي يقول … لا … **تمييز أمة عن أخرى إلا بلغتها، والأمة العربية هي عرب قبل كل دين ومذهب، وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان بما لا يحتاج معه إلى دليل أو برهان.**

وفي الوقت الذي عارض فيه الأفغاني الدعوة للقيام … [للجامعة الإسلامية] بقيادة السلطان العثماني عبد الحميد

(١) المصدر نفسه ص … ٣١
(٢) المصدر نفسه ص ٣٣١

ـدي [١٢٥٨ ١٣٣٦هـ = ١٨٤٢ ١٩١٨م] بتجميع عالم

الإسلام ضد الزحف الاستعماري الأوروبي ك[illegible] [illegible]

الدولة العثمانية بين مخالب الاستعمار، وتحول الترك بواسطة

اللغة والحضارة، إلى جزء من الأمة العربية. [illegible] هذا

[illegible] العثماني [illegible] لقد اتخذ الأتراك من عطيف

وهو [illegible] اللسان العربي لسانا للدولة واسعى لتعريب

الأتراك وانت [illegible] العكس [illegible] فكرت [illegible] العرب و[illegible]

سياسته وسقطت من رأي [illegible] بعقل [illegible] العرب وقد سارت

الأحداث في الاستعراب وسابقت وكان اللسان العربي لغير

المسلمين ولم يزل من أعز اجتماعات وأكبر المفاخر أنها لو

تعربت لانتقت من [illegible] العرقية القومية [illegible] التمزق

والانقسام وصاروا أمة عربية [illegible] واحدة

ومحمد عبده [illegible] وهو المهندس الأعظم لمدرسة التجديد الإسلامي [illegible] [الجامعة الإسلامية] هو القائل عن الإسلام [illegible] السلطة [illegible] عربية [illegible] كان الإسلام عربيا [illegible] العلم [illegible] عربيا [illegible] كان يونانيا

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible] محمد عبده [illegible] ص ٢١٦

لأمة العربية في عرب [illegible] من [illegible] [illegible] إلى

العرب [illegible] [illegible] [illegible] الأمة العربية [illegible]

الإسلام [illegible] ...

إنها ليست متناقضات بل هي الفكر [illegible] الذي [illegible]

به تيار الجامعة الإسلامية من الخصوصية [illegible]

للعرب كأمة [illegible] القومي في محيط إسلامي [illegible]

[illegible] الإسلام الدين ومن [illegible] [illegible] والجامعة

العقدية والثقافية التي جمعت كل من [illegible] الدين وفي

هذه الموازنة تكمن عبقرية هذا التيار في [illegible]

[illegible] [illegible] رابطة [illegible] على [illegible] الإسلام

وممثلة في [illegible] وفي [illegible] [illegible] [illegible]

الإسلامية لكن هذه الشعوب الإسلامية [illegible] [illegible]

وتتمثل في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

في العوائد والأخلاق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واسعة

والأخلاق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وتقتصر [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وهذه العربية [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]

الإسلامي الذي [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

السياسية [illegible] الإسلامية [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

أرجو أن تكون مصدر جمعهم القرآن ووجهة وحدتهم ... وكل ذي ملة على ملته مع تحديد لحقه الآخر من ... في حماية نحلته، وتقاعد ...

فهي رابطة الجامعة الإسلامية والجامعة الإسلامية ... الأمم الإسلامية التي تقوم وحدة كل منها ... على رابطتها القومية التي تعمرها في المحيط الإسلامي الأكبر والأوسع فهي جامعة إسلامية وجنسية [قومية] إسلامية عوامها رابطة الملة والعقيدة ... ومن خصائصها ... وقوميات ... بالمعنى القومي الأخص ... على استمرار القومية المتميزة في إطار المحيط الإسلامي الكبير.

ويقدم ابن باديس ... وهو إمام الحركة العربية ... الجامعة الإسلامية ... واضحا كاملا في تصوير العلاقة بين الأمة العربية المتميزة قوميا وبين الأمم الإسلامية غير العربية فالعرب أمة في القومية وفي السياسة والوحدة السياسية بمعنى وحدة الدولة أمر ... وكل من ... عن ... الأمم التي تجمعها رابطة الملة والاعتقاد ... رابطة العروبة القومية ... رابطة التي تثمر ... وحدة في النواحي ... والاجتماعية ... ومن ... للدولة الواحدة ... ابن باديس ... إذا قلنا العرب، فإننا نعني عدد الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلنطيقي غربا والتي تنطق

(١) المصدر السابق ص ٢٤٥

بالعربية ونفكر بها ونعتز من تاريخها ونحس بقدر عظمها من [illegible] وقد صيرتها العصور في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة هذه الأمة تربط بينها [illegible] ورابطة التاريخ، ورابطة الألم [illegible] القومية والأدبية متحققة فيها لا محالة ومن الشعوب العربية المستقلة يمكن الوحدة السياسية بل [illegible] المسلمون [illegible] تتوزعهم عدة قوميات فإن علاقتهم سامية [illegible]

- ناحية سياسية دولية
- وناحية أدبية اجتماعية

فأما الناحية السياسية الدولية فهذه من شأن [illegible] المستقلة وأما الناحية الأدبية الاجتماعية فهي التي يجب أن [illegible] بها كل الأمم الإسلامية [illegible] جماعة المسلمين وهم أهل الحل والعقد الذين ينظرون في مصالح المسلمين الدينية والأدبية »

هكذا وضحت الرؤية وتحددت العلاقات [illegible]

ولقد نرى [illegible] [الجامعة الإسلامية] من [illegible] القومي للأمة العربية في المحيط الإسلامي على أسس عرقية أو عنصرية [illegible] هذا [illegible] مؤسسة على [illegible] اللغة والأقاليم والعادات والتقاليد [illegible] ومن هذه [illegible] الأخلاق [illegible]

(١) [كتاب آثار ابن باديس [illegible] ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١ [illegible] طالبي طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨م

تكون العصبة [illegible] ومعه ناصر معنوي، علاوة على التأثير المادي [illegible] أكبر الجماعات التي تجمع [illegible] من الأمة [illegible] أكبر المفاخر حتى تصبح [illegible] للأمة [illegible] القومي أو العائلي، دون التعصب [illegible] المفروضة على وطنه القومي [illegible] فكم رأيت ولا [illegible] تلك [illegible] على [illegible] [بعينيا] محكومة وسرقت الفرص [illegible] وجمعت من [illegible] في ذلك [illegible] سواه، [illegible] وطلوا في الاستعداد إلى [illegible] الله.

والإسلام قد [illegible] القومي للعروبة، فحديث رسول [illegible] الذي يقول فيه: أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي.

وهذا لا [illegible] العرب [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] الدعوة إلى دور قائد للأمة العربية [illegible]

■ [illegible]

[illegible]

■ والإمام محمد عبده رأى أن عظمة هذه الأمة قد تحققت عندما كان الإسلام عربياً. فلما [illegible] الحكم عن العرب [illegible] من الترك والديلم وغيرهم على الخلافة العربية [illegible] الإسلام وانقلب العجمي مكان الانحطاط

■ والكواكبي وهو [illegible] - الصوفي أحد [illegible] الإسلامية] [illegible] في تجديد [illegible] الإسلام والشرق فيقول إن العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية وهذا أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين وقدوة للمسلمين حيث كان [illegible] الأمم [illegible] فيهم ابتداء فلا يأنفوا عن اتباعهم أخيراً

■ وابن باديس يرى أن العرب قد [illegible] الأمم التي تدين بالإسلام ونشر هدايته [illegible] بلغتهم ويهتدون [illegible] الإسلام [illegible] وبين الإسلام والعروبة ونمو الإسلام يعني نمو الأمة العربية [illegible] في رسول الإسلام [illegible] رسول الإنسانية [illegible] القومية العربية والأمة العربية على [illegible] واحد [illegible] القومية العربية [illegible] عليها كما يقول ابن باديس

هكذا [illegible] موقف [illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] العروبة [illegible] العرب [illegible] القومي

(١) [الأعمال الكاملة] الإمام محمد عبده [illegible]
(٢) [الأعمال الكاملة] [illegible]
(٣) [كتاب آثار ابن باديس] [illegible]

العربي بالمحيط الاسلامي وعلاقة [illegible] لم [illegible] عند العروبة [illegible] الطاعة والاعتقاد [illegible] كل [illegible] [illegible] ولقد [illegible] الاسلامية [illegible] مع العنصر القومي الذي هو [illegible] كما [illegible] في الخط الاسلامي [illegible] ودور قائد للامة العربية في المحيط الاسلامي سواء في [illegible] او في النهضة التي تجدد للعرب و [illegible] ونعتقد انهم [illegible] الذي ميزهم تاريخيا عن امم وحضارات اخرى

حضارة جديدة.. ومتميزة:

لقد [illegible] الجامعة الاسلامية [illegible] الاستعماري الاوربي [illegible] ذلك الهدف الذي [illegible] موجات الغزو التي تعرض لها وطن العروبة خلال هذا الصراع التاريخي الطويل. فالغرب يريد ان يحرز النصر على الجبهة الحضارية باحتواء العرب حضاريا حتى يحسم دوران هذا الصراع بانتصار حاسم ونهائي ومن ثم فهو وقد عاد [illegible] لمرة [illegible] الثورة الصناعية وثمارها العديدة من ادوات التفوق المتنوعة وبالحضارة الاوربية المتفوقة والمسيطرة على خريطة الكوكب الذي يسكنه الانسان يريد الا تظل حضارته هذه حضارة حالية الاوربية ومسيطرة فقط في مستعمراته العربية والاسلامية وذلك كي لا تتكرر قصته القديمة يوم كانت حضارته زوال الدولة الاستعمارية القديمة الاغريقية والرومانية

وبريطانية. وسواء كان [illegible] هو القهر [illegible] القومي
والسحق للهوية الحضارية، كما حاول الفرنسيون بالجزائر
أو بالإغراء كما صنعوا هم من خلال مدارس [illegible]
وكما صنع الإنجليز في مستعمراتهم فإن الهدف واحد [illegible]
وهو أن ينسلخ العرب والمسلمون عن هويتهم الحضارية
المتميزة فيصبحون غرباً [illegible] الأحوال التي تكون
النصر للغرب في هذا الصراع الحضاري [illegible]
[illegible] الاستعماري الفرنسي [illegible] عن
هذا الصراع الحضاري [illegible]
[illegible] الحضارة العربية الإسلامية
التي [illegible] الغرب [illegible]
[illegible]
في [illegible] الإفريقي تونس [illegible]
[illegible] شاتوبريان [illegible]
[illegible] الماضي [illegible]

وحتى لا يتحقق للاستعمار هذا الهدف [illegible]
كانت دعوة تيار التجديد الإسلامية [illegible]
والإسلامية، تجديدها وليس التخلي عنها [illegible]
الوقت الذي تصدى فيه هذا التيار [illegible]
العصور [illegible] على حركة الأمة [illegible]
للغزوة الاستعمارية الأوربية كاحتلال عسكري [illegible]

[illegible]

تصبح كذلك بدعوة خلال حضارة العرب ضد حضارات غريبة الإسلامية التي لم تكن ضرورية التي تدعيها المؤسسات التغلب به بوعد تعزى، لأسلوب ما و تبعث على الاحترام

وقد انطوى هذا التقدم في دعوته لتحديد حدود هذه الحضارة من عدة منطلقات يجمعها ويربطها خيط واحد

١ - فبحكم انه عربية ولحضارتنا مزاج متميز وقد تم ...... وتتميز هذه الحضارة بأسلوبها ...... المتقلبات ويمثل التميز في مواجهة حضارة ...... عداء في طرف واحد من طرفي الظاهرة تعني حضارة هذه غربية، وخصائصها من مخاطر واخطار بسكونيتها الاخرى.

٢ - ان المزج الحضاري المتميز علاقة عضوية بتكوين الامة ومقومات هذا التكوين وان كانت الامة ...... هذه حضارة ...... عربية حضارية وتراث عربي ودور ...... في ...... الاسلامية وصراعاتها الحضارية ...... من ...... تحديدها من نوعها الحضاري الخاص والقدرة بها تحت عنوان الاخرى.

...... حتى لو اراد ...... مخلصين كانوا ام مخادعين[1]. وبعبارات ابن باديس عن العروبة الحضارية اي ...... للجزائر عن فرنسا ...... ان هذه الامة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو ارادت

٣ - ان الدعوة الى حضارة عربية اسلامية متميزة لا تعني تقديس الماضي ولا العودة اليه كي نعيش في ...... ولا الاخذ بحميته الاصولية وانما الذي تعنيه هذه الدعوة هو الاخذ

[illegible] الأصول التي تعد [illegible] الشديد

لشخصيته الحضارية العربية الإسلامية وقد [illegible] حتى

تحمل صلاحية [illegible] المعاصر [illegible]

[illegible]

[illegible] متحركة لأنها لم تتجمد في [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

تفتح صفوة [illegible] حضاري [illegible] في [illegible]

[illegible] الأمة عصر [illegible] حضارية

الخاصة، الممثلة لذاتيتها، والمجسدة لخصوصيتها القومية

مسوقة الى ذلك بقيم وافكار ومواريث لها في [illegible]

هذه المقومات [illegible]

[illegible] حضارة [illegible] علاوة على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصبور في مطلق القوة لدفع الكوارث انما يبرر به التعسف
بعض الاصول التي كان عليها بناء السرفيين واسلافهم

وهذه الاصول [illegible] الداعي [illegible] كما يقول محمد عبده هي
التي ستحول الازهر [illegible] وتكون مدرسة الاصلاح ، تتحدد
وتنهض [illegible] [illegible] [illegible] لانه
[illegible] [illegible] وسعتهم [illegible] هو سلوك
تهم [illegible] من خارج [illegible] مرتبطة لاعجم ، [illegible]
وعنده تكون الامر تحديدا للاصول التي ستكون دعوته
في فهم الامة وعقولهم [illegible] على انحراف الامة
في مشروعها النهضوي [illegible] الصحيحة
للانتماء [illegible] محمد عبده [illegible] لمرشد الاصلاح في
[illegible] لا [illegible] فان انفسهم من طرق الادب والحكمة
لغاربة عن صبغة الدين بحوجة الى بناء بناء جديد ليس
عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه ان يجد من عماله احدا
وان كان الدين كفيلا بتهذيب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل
النفوس على طلب السعادة من ابوابها ولاهله من الثقة فيه ما
[illegible] وهو حاضر لديهم والعناء في ارجاعهم اليه اخف من
حدث ما لا اعداد لهم به فلم العدول عنه الى غيره

و[illegible] بالاصول [illegible] والروح [illegible] [illegible] العربية
الاسلامية لا تعني في راي اعلام هذا [illegible] الرجوع [illegible]

١ [الاعمال الكاملة [illegible] ص ٣٢.
٢ [الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ج٣ ص ٢٢١

في الماضي فلقد عبر على [illegible] سلطة الخصوصية [illegible] كما سمحت شاربت موقف عمر الفاروق من [illegible] والنص، والحصر [illegible] وهذه لا يعني الاكتفاء بالتراث الديني وعلومه [illegible] في النهضة والإصلاح ولا القطيعة الراديكالية معه عن الحداثة [illegible] الإصلاح الديني [illegible] الإصلاح العلمي والتجديد الحضاري [illegible] حر يتصالح مع الارتباط والاتصال والاستيعاب [illegible] في تحريك الأمة إلى [illegible] الحضاري [illegible] لا تعني أن التجديد الحضاري هو [illegible] الإصلاح الديني وبقيادة محمد عبده [illegible] الله [illegible] حركة [illegible] بحكمة لأنهم قد نهضوا والقرار الكريه في إحدى [illegible] وقد فبر الأولون وما كشف الآخرون في [illegible] الأخرى [illegible] لآخرتهم وهذا [illegible] ولساروا يزاحمون الأوربيين فيزحمونهم

٣- فالعلاقة لا تعني [illegible] التنابز و[illegible] و تحويل الوسائل إلى غايات

٤- ولكن رفض [illegible] الجامعة الإسلامية [illegible] عن فكرة العصور المملوكية [illegible] كما رفض تغريب المغربين [illegible] من [illegible] الفلسفة الغربية [illegible] [illegible] نفس [illegible] والوسائل [illegible] والأهداف التي [illegible] [illegible] حقيقية [illegible]

(١) المصدر السابق، ج٢ ص [illegible]

ى عمل ما لم يشارك فيه الجميع

فالاعتراض هنا ليس على تبني [illegible] أسرار التقدم الغربي للتمييز بين الضروري النافع و الضار غير الملائم للاستفادة بالأول بالتمثل الطبيعي والصحي مع نبذ الثاني ورفضه فمن [illegible] صنع الغرب [illegible] من موقف المستقل وموقع القادر على التعبير عن الفرص والتهديدات [illegible] كل تحقق الذاتي والخبرة والتمثل [illegible] الاعتراض على التقليد المستهلك الذي افقدنا الأسباب الثقة بالذات والقدرة على [illegible]

فالتشبث بالخصوصية أمر له حقيقة واقعة [illegible] إلى [illegible] كل حضارة من خصوصية [illegible] خصوصية لا تلغي وجود ما هو عام [illegible] إنساني تشترك فيه كل الحضارات [illegible] على مختلف الحضارات [illegible] وعلينا [illegible] خاص ومن هو عام ومن غير الصحي وغير المفيد [illegible] لأن الحضارة العربية [illegible] لا تحتاج [illegible] ولهذا [illegible] علينا [illegible] الخصوصية [illegible]

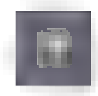
كما يقول الأفغاني [illegible] في الحقيقة [illegible] فيها على [illegible] وسر الاجتماع الإنساني [illegible] يقدرون هذه الخصوصية [illegible] عبارة الأفغاني [illegible] مصانع من قومهم [illegible] من شأنها فلقد علمتنا التجارب [illegible] من كل [illegible] المتخلف [illegible] غيرها يخونون [illegible] الأعداء [illegible]

وطلائع جيوش الغالبين وأرباب الحروب تتهدد. ثم يستبيحون
ويفتحون الأبواب ثم يشنون اقامتهم

[illegible]

وهذا المسار الحضاري [illegible] يعني برفض [illegible] الحضارية [illegible] امام عدوانية الحضارة الغربية وغزوها الفكري واستغلالها [illegible] لا يعني الانغلاق الرافض لاستلهام مصادر القوة [illegible] وتجاوز [illegible] المستقلة والمميزة لحضارتنا العربية الاسلامية [illegible] برفض التقوقع والعزلة والانغلاق [illegible] حضارية حقيقية من [illegible] واكتفاء حضارة [illegible] الحضارات هو خرافة من الخرافات

على هذا [illegible] الجامعة الاسلامية [illegible] معالم مشروع النهضة الحضارية [illegible] من [illegible] على [illegible] والسعو



الموروث .. والوافد

تاريخ القضية

[illegible]

[illegible] «الوافد» عندما يكون [illegible]

[illegible]

الفكرية في بداية الغزوة الاستعمارية الحديثة للشرق ووطن العروبة وعالم الإسلام على وجه التحديد فالمسلمون ... هذه القضية من أبرز قضايا المواجهة الفكرية التي جاءت بها في ... هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة منذ غزوة بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] وحملته على مصر سنة ١٧٩٨م لكن البعثة العلمية وكانت مطبعة ولكن المفكر محمد ... الوعي ... هذه الحملة وأهدافها ... مفكري مصر بهذه الغزوة الحديثة على سابقتها الصليبية التي داهمت الشرق في العصور الوسطى [٤٨٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م]. فالصليبيون كانوا فرسان إقطاع همج لا يملكون سوى ... وكما يقول أحد المؤرخين العرب الذين عاصروا تلك الغزوة الصليبية وهو أسامة بن منقذ [٤٨٨ - ٥٨٤هـ = ١٠٩٥ - ١١٨٨م] عن الفرسان الصليبيين: هؤلاء كانوا كالبهائم ليس فيهم فضيلة إلا القتال ... فالصليبيون ... كانوا فرسان إقطاع جاءوا من مجتمعات متخلفة بمقاييس حضارتنا ... ولذلك فقد تعلموا من الشرق الإسلامي ولم يكن لديهم فكر يغزون به هذا الشرق ... كيانات سياسية ... في قلب وطن الأمة العربية الإسلامية ... لكنهم لم يكونوا أصحاب غزوة فكرية ... العصور الوسطى ... حين كان الشرق العربي الإسلامي هو ... الحضارة.

ولهذا ... الاحتكاك العنيف بين غزوة ... وبين الشرق المتحضر ... في تلك الغزوة ...

ومؤثرات وسببات النهضة الأوروبية فيما بعد لأنهم قد تعلموا من الشرق أشياء هي الاحتكاك العنيف كما تعلموا من احتكاكهم الإسلامي وتعايشهم بحضارتنا على أرض الأندلس.

أما الغزوة الاستعمارية الحديثة التي تعرضت لها وطن العروبة وعالم الإسلام فلقد تميزت عن الغزوة الصليبية لأنها جاءت، ليس فقط بالمدفع والبارود والجيش المنظم تنظيما حديثا وليس فقط بالشركات الرأسمالية والنهب الاقتصادي الاستعماري المنظم، وإنما جاءت أيضا بفكرية الحضارة الغربية فكرية عصر النهضة الأوروبية هذه الفكرية التي تألقت وأبدعت في مختلف مجالات العلوم والفنون. كانت هذه ميزة تميزت بها هذه الغزوة الحديثة ومن هنا كانت حملة مؤثرات شاملة للقوة وللفكر معا. وكذلك كان حال كل الحملات الاستعمارية التي جاءت بعد ذلك التاريخ لتخضع الشرق لهيمنة الاستعمار الحديث.

لقد بدأنا منذ ذلك التاريخ ما نسمي بفكرية التغريب ونعبر بالتغريب والمتغربين عن انتشار الحضارة الغربية على عكس الحضارة العربية الإسلامية، قد نهضت نهضتها سبيلا استقلالية وعدوانية في كل المجتمعات التي غزتها. فنحن نعلم أن العرب المسلمين عندما فتحوا البلاد التي فتحوها، قد احتضنوا المواريث الحضارية القديمة، فالمواريث التي كانت قد هجرت وماتت أحيوها، وحلت هذه المواريث وبتحديد الصحيح للعطاء من هذه المواريث في نسيج الحضارة العربية الإسلامية الجديدة. أما الحضارة الأوروبية الغازية فلقد مارست

سياسة نسخ و مسخ والتشويه مع الموازين الحضارية للشعوب والبلاد التي غزتها هذه الغزوات الاستعمارية الحديثة، فكما صنعوا مع الهنود الحمر أرادوا وحاولوا أن يصنعوا مع الموازين الحضارية للشعوب الأفريقية وفي آسيا وفي كل البلاد التي غزوها عندما الفكرية التغريبية أرادوا لهذه الشعوب المستعمرة أن تتحول لا إلى الحضارة الغربية كما زعموا ويزعمون فهم لا يمكنون هذه الشعوب من أن تصبح مثلهم في الحضارة بامتلاك مصادر القوة في الحضارة الغربية وهي كثيرة وعديدة وإنما أرادوا أن تتحول هذه الأمم وهذه الشعوب إلى «هامش حضاري» مجرد «هامش حضاري» في موقع «التبعية الحضارية» للمركز الأوروبي وكان الهدف ليس تحضر هذه البلاد ونهضتها، لأن الاستعمار بداهة ليس حريصا على هذا الهدف وهذه الغاية، وإنما كان الهدف هو أن يصبح العقل عندنا تابعا «للمركز الأوروبي» والغربي، لأن هذا هو السبيل الأمثل والأضمن لتأبيد بل وتأبيد الغزوة الاستعمارية والنهب الاستعماري، وهذا هو الضمان الرئيسي كي نتحول إلى «هامش أمني» يحمي «المركز الأوروبي» والغربي فكان سعي هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة ليس فقط إلى أن نصبح موقعا لأمن الغرب، وليس فقط إلى أن نصبح سوقا ويدا عاملة رخيصة لاحتكارات الغرب الرأسمالية وإنما أيضا وحتى يدوم ويتأبد هذا لابد من تكبيل هذا العقل في الوطن العربي والإسلامي بقيود التبعية الفكرية لقد وقفوا موقف العداء من «خلافنا الحضاري» لهم وخلافنا

الحضاري عليهم. وكل ما هو علينا أنه من حريتنا في «الخلاف» و«الاختلاف» هو أن نختلف خلافهم ونعقد بعقدهم فنكون «محافظين» في محافظتهم و«ليبراليين» في ليبراليتهم و«تقدميين» في تقدميتهم و«شيوعيين» في شيوعيتهم فلا نخرج عن إطار التبعية والاحتواء. لقد كان هذا هو الخيار [illegible] إن جاز أن نسمي خياراً الذي سمحوا به لعقلنا حتى لقد أصبحت [illegible] للعرب هدفاً يسعى إليه المستضعفون وصارت «قمة الإبداع» تجري وراء الحداثة والصفوة لتجعل وطننا قطعة من أوروبا وتجعل هذه الأمة أوروبية العقل والحياة تفكر كما يفكر الأوربيون وتلبس كما يلبسون وتفكر كما يفكرون وتحس كما يحسون وتخطئ كما يخطئون وتعيش كما يعيشون.

ولقد بلغ بنا الأمر في إطار هذه التبعية الفكرية التي فرضت علينا إلى الحد الذي أصبح فيه كل رجال الفكر في بلادنا لا يستطيعون أن يؤثروا في الأمة [illegible] وفي تحديد المواقف و[illegible] مثلاً تأثير صاحب دار أزياء في مركز من مراكز الغرب [illegible] على تلك مدارس الفكر ومذاهب ودور الإبداع [illegible] عندهم وحدهم [illegible] وحدهم» وإن كان عندهم اعتزال [illegible] «عرب» وإذا كانت عندهم «بنيوية» فلا بد أن يكون لنا بنيوية. وهكذا نصبح بالفعل راقصين على الأنغام الفكرية الأوربية دونما اعتبار للبديهيات التي تقول إن لكل أمة نمطاً في التصور وشكل

حضارة عريقة وعتيقة وجعله مرجعا في التطورات الفكرية والايديولوجية، لابد أن نطبع بطابع الواقع الذي نعيشه الآن ونتفاعل فيه.

كان مقصود الغاء هذا المنطق العربي لنصب اللغة هدف يسعى إليه المستضعفون في الأرض من شعوب الأمم التي تعاني هيمنة الاستعمار الحديث وذلك كي تعيد شخصية هذه الشعوب وتترسخ في مختلف الميادين وشتى المجالات.

تيارات ثلاث

أمام هذه الهجمة التغريبية الاستعمارية [illegible] حدثت تحديات فكرية وكيف استقبل مفكرونا ومثقفونا هذا الوافد الغربي [illegible] تتشكل الصورة على النحو التالي

كانت لدينا مؤسسات فكرية تعليمية نهضوية عريقة مثل الأزهر والزيتونة والقرويين والطرق الصوفية الخ وأمام هذه الهجمة التغريبية حملت هذه المؤسسات وانكمشت فانكفأت على ذاتها واستغلقت على موروثها [illegible] والخوف [illegible] الذي هو خطر من مخاطر التغريب

وللأسف الشديد على الذات التي انكفأت عليها هذه المؤسسات التقليدية لم تكن هي الذات الحقيقية [illegible] للحضارة العربية الإسلامية العقلانية المستنيرة التي سادت في عصر ازدهار هذه الحضارة وإنما كانت ذاتية فكرية لعصور الوسطى عصور التراجع والجمود التي توقف فيها الإبداع والتفاعل الحضاري تحت تسلط المماليك وسلطان [illegible] في

ظل هذا التسلط دليلاً على عقلانية الفكر الإسلامي و[illegible] أسعد [illegible]
الفكر، وموقف الأحباب [illegible] وإحلال [illegible] في [illegible] هذه [illegible]
القرون السبعة [٦٤٨ – ١٣٤٢هـ = ١٢٥٠ – ١٩٢٣م] [illegible]
[illegible] الحواشي والمتون التي [illegible] ركيكة [illegible] وعرفت
في [illegible] المحنطة [illegible] كانت
الصفحة [illegible] عصر [illegible] الفكر [illegible]

وقد [illegible] هذه المؤسسات [illegible] عن [illegible] من
[illegible] ورفض [illegible] العقلاني [illegible]
العقلاني [illegible] ونحن نقرأ في أدبيات تلك
الفترة كيف أن الشيخ محمد عبده [١٢٦٥ – ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ –
١٩٠٥م] [illegible] علوم [illegible] الحساب
والتاريخ [illegible] والجغرافيا في [illegible] الأزهر التعليمية ولقد
[illegible] [illegible] كي [illegible]
[illegible] واعتبروا [illegible]
[illegible]
[illegible] الأزهر في عصره [illegible]
[illegible] حسرة وكمد

ونحن نقرأ في أدبيات تلك الفترة كيف أن الشيخ [illegible] هو
الشيخ عليش [١٢١٧ – ١٢٩٩هـ = ١٨٠٢ – ١٨٨٢م] عندما
سمع أن الشيخ السنوسي [١٢٠٢ – ١٢٧٦هـ = ١٧٨٧ –
١٨٥٩م] يدعو إلى فتح باب الاجتهاد [illegible] عصره [illegible]
العليطه، وأخذ يبحث عن الشيخ السنوسي ليؤدبه

ونعرف أن نفس الشيخ عليش هو الذي عندما علم أن كلمة «المعتزلة» قد ذكرت في صحن الأزهر على لسان محمد عبده الذي كان لا يزال طالباً بالأزهر يتتلمذ على جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] معتزلة في حين حنبلي ويذهب إلى صحن الأزهر فيعقب على محمد عبده الذي ورث ما سمع من شروح الأفغاني على أمهات كتب «علم الكلام» الإسلامي عندما علم الشيخ عليش أن كلمة «المعتزلة» قد ذكرت بصحن الأزهر هم أن يهشم عظام محمد عبده بعكازه لعنط

كان هذا هو مستوى المؤسسات الفكرية التقليدية، سواء أكانت تعليمية أم صوفية تحول لديها التصوف من تصوف «عقلاني - فلسفي» أو «تهذيبي - شرعي» إلى شعوذة وجبر واحتيال وبدع وخرافات

لقد انكفأت هذه المؤسسات على أسوأ ما في التراث الفكري انكفأت على السلبي والجامد والمتخلف ورفضت في جمود شديد ليس «ما جاء» من الغرب كوافد فقط وإنما رفضت كذلك جوهر الموروث العربي الإسلامي كما سبق قبل عصر الركود والجمود

ولقد كان تراث هذه المؤسسات الفكرية، الذي كون فكريتها في ذلك التاريخ لا يبعث على السرور أو الاحترام وكان مستحيلاً على هذا التراث أن يناقش «الواقع» العربي الذي يعمر إبداع عصر النهضة والثورة الصناعية فلم تكن تلك المؤسسات في ذلك التاريخ تعرف حقيقة موروث هذه الأمة من أن الذين بدءوا تحقيق النصوص القديمة والذين بدءوا يكتبون الدراسات

حول موروثنا الحضاري كانوا هم المستشرقين. وكان موقف مؤسساتنا التقليدية من جوهر تراثنا كموقف السفهاء الذين ورثوا كنوزا ثمينة لكنهم لا يعرفون قيمتها ولا قدرها!! والذين يقرءون للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي [١٨٨٣ - ١٩٥١م] من كتابه عن [المخطوطات العربية] يصيبهم الأسى والألم إذ نراه يحكي كيف كان الشيخ المشرف على مخطوطات مكتبة الأزهر جاهلا بقيمة هذه المخطوطات، بل وعدوا - بسبب هذا الجهل - سُرقت منه فقد احتال عليه كراتشكوفسكي فحدثه عما في مخطوط إحدى رسائل أبي العلاء المعري [٣٦٣ - ٤٤٩ هـ = ٩٧٣ - ١٠٥٧م] من زندقة وإلحاد فما كان من هذا الأمين - أمين المكتبة - إلا أن جمع "سلة" من مخطوطات المعري وألقاها على كراتشكوفسكي! لا بحدف لتطهير مكتبة الأزهر الشريف مما بهذه المخطوطات من زندقة وإلحاد!

كان هذا هو موقف هذه المؤسسات التقليدية من الموروث الحقيقي للأمة، لم تكن تعرف حقيقته بل ... في مستوياته الجوهرية ولا أصوله لأنها كانت تعيش على زاد جامد ومصنع ومتخلف، عندما يوضع في كفة وتوضع ... الغربية في الكفة الأخرى تصبح المعركة والمنافسة ... وهكذا أصبحت ... منكمشة من هذا الوافد وبقيت "الموروث" والذي حدث، عبر هذه المنافسة وهذه المعركة أن الصفوة والنخبة الحديثة والراغبة في الحداثة والتحديث قد أدارت ظهرها لهذا الموروث لأنها ... وبكل الإخلاص للوصول ... قد رأت أن السبيل إلى القوة والتحضر والتطور كامن في أن تصبح غربيا

كالغربيين في كل شيء. وتلك كانت بداية نشأة التيار الذي نسميه تيار التغريب في واقعنا الحضاري.

لقد نشأ هذا التيار التغريبي نشأة طبيعية بعد هذه الهجمة الاستعمارية الحديثة، فتكونت الصفوة والنخبة الحديثة التي رأت أن ما يسمى بـ «الموروث» أو «الصورة المملوكية العثمانية للإسلام» لا تبعث على سرور، وليست جديرة ولا مؤهلة لأن تقيل هذه الأمة من عثرتها، وتنهض بها كي تواجه الأوروبيين، فقالت هذه النخبة: إن السبيل لمواجهة أوربا، والطريق لمواجهة الهزيمة لكي نتحرر من الاستعمار هو أن نستعير الحضارة الغربية. فكان أن دعت هذه النخبة إلى ما دعا إليه الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] في كتابه [مستقبل الثقافة في مصر]: دعا إلى أن نفكر كما يفكر الأوربيون، ونحس كما يحسون، ونحب كما يحبون، بل ونخطئ كما يخطئون... إلى آخر مقولات تيار التغريب.

وبالطبع فإن كان هناك عذر للذين تغربوا في ذلك التاريخ فلقد كانت هناك قضية تلك الموسسات التقليدية لا يصح لنا أن ننكرها أو نغفل عن آثارها وهي أن الحفاظ على الذاتية حتى في صورتها المتخلفة كان أفضل من كارثة الذوبان والتماهي في الحضارة الغربية، ومن تسليم الأقلاع جميعها وفتح كل المعاقل أمام غزوة «التغريب»!

وهنا لا بد أن نتذكر ونذكر ما حدث في الجزائر خلال معركتها ضد الفرنسة والمسخ القومي الذي أراد به المستعمرون الفرنسيون أن يحولوا الجزائر العربية المسلمة إلى الامتداد الفرنسي اللاتيني

لفرنسا الأم عبر البحر الأبيض المتوسط وعلى الشاطئ الإفريقي. ففي معركة الجزائر هذه دفاعًا عن هويتها وموروثها الحضاري ضد الفرنسة، وجدنا هذا الشعب المسلم ـ عندما دقت به الخطر ـ وأصبح ظهره للحائط ـ ونزعت أسلحته ـ وجدناه يقاوم ويحارب أحيانًا حتى بالأسلحة الغريبة. فالجزائر قد سلحت وحررت حتى «بالجهل والأمية»! من تصور أن يصبح الجهل ـ وبحسبه ـ أمية أسلحة يدافع بها الشعب عن ذاته» ضد الغزو؟ لقد حدث هذا.. ذلك أن الذين تعلموا وتثقفوا قد أصبحوا فرنسيين يندمجون ويذوبون في الوطن الأم فرنسا، أو يستخدمون في نشر الفرنسية وثقافتها. أما الذين ظلوا على جهلهم وأميتهم فهم الذين احتفظوا بهويتهم وبموروثهم الحضاري، وبقيت هويتهم متميزة عن المسخ بحثًا على إرادة الاستعمار. وقد استمر ذلك إلى أن جاءت [جماعة العلماء المسلمين في الجزائر] بقيادة شيخها عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] فحررت الوجه المشرق للشعب، وصنعت جيل الرجال الذي وثبت من أحضانهم ومن أحشائهم [جبهة التحرير الوطني الجزائرية] التي رفعت السلاح وحررت الجزائر، وأعادتها إلى أحضان العروبة والإسلام بعد احتلال قرن وثلث قرن.

وفي ظل هذه التجربة الجزائرية كان الانكفاء على الذات رغم سلبيته، من جهة عجزه عن تقديم البديل الحضاري، وعدم قدرته على منافسة الحضارة الغربية وفكرية التغريب. وهذه هي السلبية الكبرى للجمود وأهله فيما يتصل بهم هو عجزهم عن الـ

يقدموا البديل الصالح لنهضة الأمة أمام تحدي التغريب. ولكن هذا الجمود وهو الذي انكفأ على التراث رغم تخلفه وزعم أنه لا يحتمل جوهر العقلانية الإسلامية الحقيقية فإنه حفظ لنا هذا الموروث حتى يأتي بعد ذلك حين نصفي هذا الموروث ونحرر تخلفه وينفض عنه الغبار ويأتي – بالاجتهاد والتجديد – فيبعث ويطور المشروع الحضاري الذي تواصلت به الأمة مسيرتها الحضارية المستمرة.

إننا نستطيع أن نقول إن هذا الاحتكاك، الذي بدأ مع الغزوة الأوروبية الحديثة قد ولد في واقعنا الفكري تيارات ثلاثة:

■ تيار الجمود الذي أشرنا إليه.

■ وتيار التغريب الذي ظن واعتقد أصحابه أن سبيل النهوض هو أن نتغرب ونصبح في الحضارة غربيين.

■ ثم التيار الوسطي التجديدي الذي نسميه تيار اليقظة الإسلامية أو تيار التجديد الديني الذي رادته جمال الدين الأفغاني والذي تكونت من حوله صفوة من المفكرين في مصر وفي المشرق وفي المغرب قادت الكثير من الحركات الوطنية، وقادت الكثير من حركات التجديد الفكرية والدينية في وطن العروبة وعالم الإسلام.

لقد رفض هذا التيار التجديدي الوقوف عند جمود التقليد وبشر بضرورة تجاوز تركة العصور الوسطى والمظلمة والعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية.

وهذه العودة إلى المنابع هي التي تسمى بـ [السلفية] وهذا المصطلح قد أصبح – للأسف الشديد – واحدا من المصطلحات

بسبب السمعة لدى كثير من المثقفين المستغربين والعلمانيين في شرقنا العربي، فهم يعتقدون أن «السلفية» مرادف للرجعية والتخلف والمحافظة والجمود... إلخ. ونحن نعتقد أن هذا الفهم خاطئ والمغلوط يخفى عن حقيقة أن «السلفية» ليست تيارًا واحدًا في الفكر الإسلامي، وعن حقيقة أن كل حركات التجديد والإصلاح في إطار وطن العروبة وعالم الإسلام قد باتت جميعها حركات ودعوات سلفية، ذلك أنها في الدين في الثوابت في الأصول في العقائد والتعبد في الشئون المتعلقة بالغيب والآخرة لابد من العودة إلى المنابع وشدة العودة إلى المنابع إن اكتفت بالوقوف عند النصوص، ولم تنظر فيها بالعقل المستنير والرؤية كانت سلفية نصوصية، تورث أصحابها المحافظة والجمود، فإن ما بين هؤلاء السلفيين النصوصيين في المتغيرات الدنيوية، فنجد هذا السلفي النصوصي كانوا لابد نموذجًا للجمود الباعث على الفتور والرثاء.

أما إذا عنت السلفية العودة للمنابع والنظر فيها بالعقل المستنير والاقتصار فيها على الثوابت والأصول والعقائد، ثم المراوحة بينها وبين المستقبلية فيما يتعلق بالمتغيرات الدنيوية كانت المنهج الأمثل للتجديد، لأنها بالعودة إلى المنابع تمثل الثورة التجديدية ضد البدع والخرافات والرواسب التي رانت على الثوابت والأصول، وهي بذلك تسهم في تحرير العقل من الأغلال عندما تحقق عنه أحمال عصور الانحطاط، ثم إنها، فيما يتعلق بعمران الأرض وتطور المجتمع والمشروع

الحضاري المنشود لانتقاص الأمة وكل شئون الدنيا تدخل في إطار المتغيرات الدنيوية وفق مصلحة مجموع الأمة التي هي في فلسفة الإسلام التشريعية نص من النصوص ... وبذلك فلقد نص الرأي الفقهي بأنه إذا تعارضت «المصلحة» مع النص وجب تقديم «المصلحة» على «النص»، لأن «المصلحة» نص الحديث النبوي الشريف.. حديث «لا ضرر ولا ضرار» تعتبر من النصوص.. فعندما نقدم «المصلحة» على النص فنحن نقدم «نصاً» على نص آخر، ولسنا نخرج بذلك عن نطاق ثوابت الدين وأحكامه

هذا هو نهج مدرسة «التجديد الديني» الحديث فيما يتعلق بالثوابت. فيما يتعلق بالطابع الحضاري الذي يميز هذه الأمة لقد قالوا إننا نتميز عن الحضارة الغربية ولابد أن نحرص على هذا التميز وهذا التميز ليس انغلاقا ولا عداء حضاريا. أما فيما يتعلق بشئون الدنيا بالعلوم الطبيعية وبتطبيقات هذه العلوم الطبيعية وبكل العلوم التي تؤسس حقائقها على قوانين وسنن، بكل ما يدخل في عوامل القوة اللازمة للنهضة المدنية الحضارية المتميزة فلابد أن ننفتح فيها على مختلف الحضارات نستفيد منها ونتمثل ونتبادل الأخذ والعطاء

ولقد كانت مدرسة «التجديد الديني» بهذا المنهج وهذه الدعوة، الممثل الحقيقي لموقف حضارتنا العربية الإسلامية التاريخي في هذا الموضوع فالعرب والمسلمون الأوائل قد انفتحوا على الحضارة اليونانية والفارسية والهندية لكنهم

لم يتحولوا الى فرس او يونان او هنود وانما هم ظلوا في إطار سماتهم وخصوصياتهم عربا وهم قد صنعوا ذلك من موقع صاحب الشخصية المستقلة، من موقع صاحب الجسد الصحيح والصحي تكتسب لهم قدرة التمثل و لا تسلبهم دونما تبعية او مسخ او تشويه

لقد ترجموا فلسفة اليونان لكنهم لم يستوردوها ولم يتبنوا مقولاتها لتكون التعبير عن روحهم الحضاري وتصوراتهم للكون والوجود وانما قرأوا هذه المقولات الفلسفية اليونانية قراءة اسلامية حتى لقد اصبحت «فلسفة اسلامية» اما الذين قلدوا من فلاسفتنا مقولات الفلسفة اليونانية فلقد ظلوا مجرد هامش في التراث الفكري الاسلامي بل لقد كان فلسفة هذه الامة الحقيقية ومظهر عبقريتها وابداعها في ميدان الفلسفة هو «علم الكلام الاسلامي» الذي جسد وسطية الحضارة الاسلامية عندما وازن بين «العقل» و «النقل» فتأسست فلسفته على قواعد الدين

ان هذه الامة لها طابع حضاري متميز والى هذا دعا تيار التجديد الديني دعا الى ان نحتفظ لهذه الامة بهذه الهوية الحضارية المتميزة ودعا الى أن ننفتح على علوم الحضارة الغربية ورائد هذا التيار جمال الدين الافغاني هو القائل «ان العلم امه وابوه الدليل فأينما يكن العلم مؤسسا على الدليل فليس له وطن ولا جنس ولا حدود ولا قوميات اما في الانسانيات اما في الفلسفة والثقافة فما تتميز فيه الحضارات العربية المتمايزة فلا بد من الاحتفاظ بالهوية

هنا كانت عبقرية هذا التيار الوسطى الذى رفض «جمود الجامدين» والذى رفض أيضا «تغريب المتغربين».. ومن يقرأ ما كتبه الإمام محمد عبده فى الصفحات التى تحدث فيها عن «سيرته الذاتية» يجده يقول: «لقد نشأت كواحد من أبناء الطبقة المتوسطة فى مصر، وتعلمت ما كان الناس يتعلمون.. ورأيت جمهور الأمة وقد انقسمت إلى فريقين: طلاب علوم الدنيا وطلاب علوم الدين.. ثم نقدت الفريقين فلم يكن الأولون سالكين طريق التحضر الصحيح، ولم يكن الآخرون سالكين طريق الدين القويم.. ثم يقول: ولقد تحددت بينهما موقف وسط ورأيت يجمع ما فى الموقفين من حق صحيح»

ومن يقرأ كلمات الأفغانى ويفقه سيرته فى كل المواقع التى ناضل فيها، يجد أنه كان واعيا بموقفه الوسطى بين تيارى الجمود والتغريب.. ومما كتبه عن المدارس الحديثة التى أنشأها محمد على باشا [١١٨٤ – ١٢٩٥هـ = ١٧٧٠ – ١٨٤٩م] ومثلها التى أنشأتها الدولة العثمانية ومن قام فى الشرق الإسلامى من تحدث على النمط الغربى نجد مصداق هذا الذى نقول.. لقد كان الأفغانى مسفها أحلام الذين ظنوا «الحداثة الغربية» صالحة للتعميم وإطلاق تكون الحداثة العربية الإسلامية»، فقال: «لقد سبق العثمانيون عدد من المدارس على النمط الجديد وبعثوا بطوائف من شبانهم إلى البلاد الغربية ليحصلوا فيها ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب وكل ما يسمونه «مدنية».. وهو فى الحقيقة تمدن للبلاد

حتى بنا هيئتها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من تلك وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة؟ نعم ربما وجد منهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية [القومية] وما شاكلها، وسموا أنفسهم زعماء الحرية ومنهم جروا على قلب أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية وعدوا ذلك من مفاخرهم فمحو بذلك ثروة بلادهم إلى غير بلادهم وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط من شأنها. لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ تتطرق الأعداء إليها وطلائع الجيوش الغالبين وأرباب الغارات يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم"

تلك كلمات جمال الدين الأفغاني شاهدة على أن مشكلة الموقف من الموروث ومن الوافد قديمة قدم الهجمة التغريبية الاستعمارية التي دهمت بلادنا مع مطلع العصر الحديث وشاهدة كذلك على أن حركتنا الفكرية قد انقسمت إزاء هذه القضية إلى تيارات ثلاثة

- أهل الجمود الذين انكفأوا على الذات، التي لم تكن تمثل الوجه الحقيقي والمشرق للموروث ورفضوا أي تفاعل أو انفتاح على الوافد الأوربي الحديث

- والمتغربون الذين دعاهم تغربهم عن صورة الموروث كما تجسدت في فكرية المؤسسات التقليدية إلى نبذ هذا الموروث والسعي إلى تبني «النموذج الغربي في التحديث».

- وتيار التجديد الديني الذي لم تحدث قطيعة مع موروثه الحضاري ولم تقف بحياد بين الموروث والوافد، وإنما انطلق من الالتزام بالأصول الجوهرية والثابتة للموروث الأمة وسعى إلى دعم الاستقلالية الحضارية الذاتية في الحضارة العربية من عوامل القوة والتقدم التي تدعمها الأوربيون.

 الجديد فى حقبة السبعينيات

لكننا نسأل السؤال نفسه الذي سأله ويسأله الكثيرون

- لماذا سند وعلا الصوت بما تحدث عن الوطن والحروب بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م؟
- ولماذا استمرت ظاهرة العودة إلى الموروث والتحصن به في حقبة السبعينيات؟
- ولماذا اندفع الشعب في مصر بتلقائية وعفوية ينشد نشيد «بلادي، بلادي لك حبي وفؤادي» في جنازة البطل الشهيد الفريق عبد المنعم رياض؟

* * *

ولماذا اندفع الشبيبة ولم يتجهون إلى حيث الموسيقى العربية بعد هزيمة ١٩٦٧م، وخلال حقبة السبعينيات؟

- ومتى انخرطت أفواج الشبيبة في تنظيمات «الموروث» [الإسلام] تتحصن به كما لم تتحصن بشيء من قبل، حتى بأشكاله ورموزه [اللحية، والجلباب، والسواك]

■ من ومتى أحس الناس بالحاجة إلى [illegible] عن
ثقافة عمومية

متى حدث ذلك؟ ولعل أهم الأسباب [illegible] التحصن
بالموروث [illegible] والتحول الذي يعلو صوته حول قضية [illegible]
و[illegible]؟

لقد حدث ذلك في مواجهة هزيمة سنة ١٩٦٧م حتى اقترب
صمم ما قرب تحرير المشاريع التحديثية المعتمدة
بأدواته من مصداقيتها وجدارتها بانتهاض الأمة من كبوتها
الحضارية. ومن ثم فلقد انعطفت جماهير الأمة إلى الموروث
تتحصن به وتدعو إلى سلوك سبيله لمواجهة التحديات
المفروضة على الأمة وثقة من فعالياته اليوم لأن أسلافها قد
انتصروا على تحديات الأمس بهذه الفعاليات.

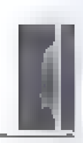
وحدث ذلك في مواجهة الهجمة التغريبية التي حدثت بها
حقبة السبعينات. تلك الهجمة التي تجسدت في شيوع التحلل
الاقتصادي الذي أسموه انفتاحًا، وشيوع ثقافة التسريح
الانفتاحية، وسيادة قيم شارعي «الشواربي» و«الهرم» في
أجهزة الإعلام، وشيوع أنماط الاستهلاكية التي تستنفر غرائز
النهم والشره والشهوة في الإنسان.

لقد زحفت هذه القيم والظواهر التغريبية على واقعنا في
حقبة السبعينات حتى كادت تطمس ضياء ذلك الشهاب الذي
لمع في أفقنا في السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م. وذلك لم يكن
غريبًا أن يحتج ضمير الأمة وينتفض جسدها بحثًا عن

الحماية في ترسانته الحضارية التاريخية ومتحصنا بموروثه ومتترسا بالقلعة التي تترس بها أسلافه وهم يواجهون أمثال هذه التحديات التي مرت بها خير الأمة عبر تاريخها الطويل

ذلك هو تفسير الشيوع لهذه الظاهرة في الستينيات

لقد كان شيوعا لظاهرة لم توجد في الستينيات



قانون الاحتكاك الحضاري

إن سير أحداث القصة التي حدثت للأمة عندما احتكت هذا الاحتكاك العنيف بالحضارة الغربية هو أساسه أن يكون على علم بأن القانون الذي يحكم ظاهرة التماس الحضاري والتقاء بين الحضارات، سواء أكان هذا التماس سلبيا أم إيجابيا.

فنحن إذا راجعنا تاريخ الحضارة الغربية عندما كانت في سبيلها إلى النهضة نرى أنها احتكت بالحضارة العربية الإسلامية، ونحن نعرف دور الأندلس والترجمة وسقوط طليطلة في الأندلس إلى آخر القصة المعروفة التي يحفظها الجميع.

ماذا كان موقف أوربا من هذه الحضارة المتقدمة، ومن أوائل الذين تحدثوا عن موقفها من حضارتنا عندما احتكت بها سلمياً وعنيفاً في الأندلس، وعنيفاً في الحروب الصليبية، وهي في سبيلها إلى النهوض.

لقد انقسمت الحياة الفكرية الأوربية بوجه عام إزاء الوافد العربي الإسلامي إلى تيارات ثلاثة:

■ ومن هذه التيارات موقف كان تيار «الكنيسة الكاثوليكية» الذي مثل أهل المحافظة والرجعية والتخلف والجمود.. لقد رفضوا أي انفتاح على الحضارة العربية الإسلامية.. رفضوا الدين الإسلامي وعقلانيته والقيم والأخلاق والفكر والثقافة جميعاً.. لقد تصوروا ما تحمله نبوة الدين الإسلامي من «توحيد» بلغ أرقى صوره وأنقاها حتى يرفض أي «حلول» أو تجسيد أو تعددية في ذات المعبود سبحانه.. الخ ولذلك رفضوه، ورفضوا الفلسفة الإسلامية، بل فيها من عقلانية.. رفضوا فكرية الحضارة الإسلامية بكاملها ديناً وعلوماً وحضارة.. فلقد كانت علوم هذه الحضارة حاملة في ثناياها الروح الإيمانية للإسلام.

■ وكان هناك تيار يمثله البعض من «الرشديين اللاتين» الذين تأثروا مع ابن رشد وحذوا التفسير بفكره.. وكان في هذا التيار قطاع متحمس لتبني الحضارة العربية الإسلامية يتسلح بها وبفكرها في حربه ضد الكنيسة وضد الجمود.. ولقد بلغ هذا القطاع في حماسه للوافد العربي الإسلامي الحد الذي جعله يتمنى أن تنطبع به أوربا انطباعاً كاملاً وبحيث يتمنوا أن يسود الإسلام وحضارته أوربا.. وكتب «أناتول فرانس» [١٨٤٤-١٩٢٤م] معبراً عن نزوع هذا التيار يقول: «يا ليت الإسلام كان قد بسط فكره على أوربا من الأندلس حتى تركيا.. وليت مآذن المساجد قد ارتفعت بدلاً من الكنائس، ويا ليتنا سمعنا ترتيل القرآن بدلاً من الأناجيل.. إذن لأعتقت أوربا من عصورها المظلمة والقرون المتخلفة التي عاشتها»

على هذا النحو فكر وعبر فريق من مفكري أوروبا. لكن نرى الموقف الأمين هو بيان هذا الرواد العربي الإسلامي ليكون البذرة التي نهضت بها أوروبا وأخرجتها من عصورها المظلمة.

■ أما التيار الأساسي الذي صنع عصر النهضة الأوربية وبنى دعائمه، فلقد وقف إزاء الحضارة العربية الإسلامية موقفاً متميزاً عن موقف «الرفض الكامل» الذي وقفته الكنيسة وأنصارها، وعن موقف «التبني الكامل» الذي وقفه فريق من «الرشديين اللاتين».

لقد سعى هذا التيار إلى حضارتنا فوعاها ثم استلهم وتمثل منها «المنهج التجريبي» و «العلوم الطبيعية». أما فلسفة العقلانية الإسلامية فلقد مر هذا التيار عليها عن نقد، فرفض ما في عقلانيتنا من «نقل» و «وحي إسلامي» وأخذ فقط الانحياز إلى براهين العقل، فكأنه قد أخذ عنا عقلانيته اليونانية وترك ما تميزت به عقلانية الإسلام.

لقد كان المنهج عند اليونان هو القياس، فأصبح في حضارتنا هو الاستقراء والتجريب، وهذا هو الذي تمثله الأوربيون من حضارتنا، وتمثلوا معه علوم هذه الحضارة من طب وحساب وجبر وبصريات الخ... الخ. لكنهم تحفظوا إزاء القيم والأخلاقيات والروح الحضارية للحضارة العربية الإسلامية. أخذوا علوم العرب والمسلمين التي نسميها «العلوم الطبيعية»، وتصنفت هذه العلوم ثم طوروها في عصر النهضة، ولكنهم فيما يتعلق بالإنسانيات تحفظوا. لقد رفضوا «التوحيد»، وهو جوهر فكرية [أيديولوجية] هذه الأمة

ومعيار نظرتها وتصورنا لهذا الكون. ورفضوا قيم حضارتنا ورفضوا «الوسطية الاسلامية» التي هي الموقف المعتدل والعدول الذي تقف به حضارتنا بين ما هو «دين» وما هو «دنيا» وبين الدنيا والآخرة وبين الجسد والروح وبين الحكمة والشريعة الخ وهذه الوسطية هي المزاج الحضاري والروح الحضارية التي تميزت بها حضارتنا العربية الإسلامية

لقد اخذوا الجانب العلمي المؤسس على الحقائق العلمية وتطوره أما فيما يتعلق بالعلوم الانسانية وبالقيم وبالأخلاقيات والطابع الحضاري والذي يشبه «البصمة» و«المزاج الحضاري» و«الروح الحضارية» فلقد رفضوها رفضها هذا التيار الذي أسس وبنى وصنع وقامت على اكتافه فكرية عصر النهضة في أوربا

هذه هي التيارات الأوربية الثلاث التي واجهت مواقف الغربي الاسلامي إبان سعي أوربا الى النهضة والتي تقدس تياراتنا الثلاث في موقفها من فكرية التغريب، تطورت في الوضع الفكري الأوربي كما تطورت في واقعنا الفكري ... ظاهرة الاحتكاك الحضاري بين الحضارتين، تشهد على عموم هذا القانون

«فهل نحمود ... برفضون أى انفتاح على أى حضارة من الحضارات ويكتفون على الذات بصرف النظر عن صلاح وصلاحيه هذه الذات

وقوم [illegible] هم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] «المتحضر» في كل شيء [illegible] مثله في كل المجالات و[illegible]

ولكن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي قد [illegible] [illegible] [illegible] مشروع حضاري متميز [illegible] على قاعدتين، [illegible] [illegible] [illegible] بالتميز [illegible] [illegible] [illegible] وبالعلوم والنظم التي [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ليس على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من الاختلاف [illegible] من [illegible] في كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] موقف [illegible] بين [illegible] التي لا [illegible] ولا [illegible] ولا حدود تحد صلاحها وصلاحيتها وبين [illegible] والاجتماعيات والفلسفات والفكر الذي يحدد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وهذا التمايز الحضاري [illegible] كما [illegible] هو غير الانغلاق والعداء الحضاري

وعلى سبيل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] عليه [illegible] [illegible] الحضارية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حضارة متميزة؟ [illegible] [illegible] حضارة متميزة؟ وإن الغرب حضارة متميزة [illegible] [illegible] الغرب [illegible] [illegible] حضارة متميزة؟ [illegible] [illegible] الحضاري [illegible] [illegible] [illegible] «التبعية» [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحضاري و«الخصومة الحضارية»

الصيني ماو تسي تونج [١٨٩٣ - ١٩٧٦م] الاشتراكيون ان قد طوروا الماركسية وهي ... للموقف الصيني فصورها ... فأصبحت صينية ... عندما ... خصوصية ... لا الأوربي ... وظروفه ومراحله والثورة والاشتراكية ... لكننا نقول هنا كان الصين ... الفكري بوتقة حضارية متميزة وفي هذه البوتقة كان على الوافد أن يطوع للصورة فيتشكل بشكل جديد.

وهذا النص الصيني يذكرنا بما سبق منه من أن أسلافنا العرب المسلمين عندما ترجموا الفلسفة اليونانية، فإنهم قرأوها قراءة إسلامية، لقد شرحوها من موقف المستقل ومن موقع الدارس المصحح فصبغت شروحهم الحضاري المتميز ومراحلهم الحضاري الخاص والذين يعقلون ولا أقول يقرأون شروح ابن رشد على أعمال أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ق.م] وهو الشارح الأكبر لأرسطو- يرون في إضافات ابن رشد وإبداعه ما يمثل ابن رشد المسلم، والمتكلم، والقاضي والفقيه فما كانت الإضافة ممثلة للروح الحضاري حتى في الشروح الأرسطية على أعمال ... أرسطو ... ابن رشد في صورته الحقيقية المتكاملة فلا بد ... يبحث عن ذلك في الأعمال ... التي أبدعها كمتكلم وفيلسوف وفقيه.

هذا هو الفارق ... حكم ... كيف ... بفكرة «التعريب»، عندما بدأت العروبة الأوربية الحديثة وهو ذات الفارق في حكم حركة العرب ... نهضته وعن ... ذلك حكم حركات العرب المسلمين وآخر بعصر الأموي وفي

العصر العباسي، بالحضارات التي احتكوا بها وترجموا علوم حضارات اليونان والفرس والهنود.

ونحن عندما نتأمل في تجربة مصر تحت قيادة محمد علي باشا، نجد ما يفيدنا في هذا الموضوع.. إن البعض منا عندما يفتح كتاب [البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس وسعيد] وهو الكتاب الذي وضعه الأمير عمر طوسون [١٢٨٩ - ١٣٦٣هـ = ١٨٧٢ - ١٩٤٤م] إن هذا البعض يردد كلاما شائعا- ولكنه مخطئ- يقول: إن من سلبيات محمد علي أنه قد بعث المبعوثين الذين درسوا العلوم والفنون العملية من طب وزراعة وهندسة وعسكرية وقناطر وجسور واستحكامات وطباعة ونسيج وعمارة... إلخ إلخ.. ولم يرسل مبعوثا واحدا ليدرس إنسانيات الحضارة الأوربية وفلسفاتها.. وحتى الذين نبغوا في إبداع الفكر الإنساني من هؤلاء المبعوثين فإن نبوغهم هذا لم يكن وليدة ما درسوه في أوربا.. فهذا علي مبارك [١٢٣٩ - ١٣١١هـ = ١٨٢٣ - ١٨٩٣م] الذي نبغ في التاريخ والجغرافيا من خلال [الخطط] كانت دراسته في أوربا عن الاستحكامات العسكرية.. والطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م] قد تخصص هناك في ترجمة علوم الطبيعة والفنون العملية.. فكانت ريادته لهذا تجديدا وعودة وعادة لريادة طلائع المترجمين العرب في العصر الأموي عندما بدأوا بترجمة علوم الطبيعة من مدرسة الإسكندرية.. تحت قيادة خالد بن يزيد [٩٠هـ - ٧٠٨م]

ونحن لا نرى في صنيع محمد علي ما ... كما يرى الآخرون، الاقتصار في البعثات إلى أوربا على علوم الصناعة والتطبيقات العملية والعلوم الصناعية، لأن ذلك يستخف بالعلوم الإنسانية والاجتماعية كما يعتقد البعض خطأ ويحكم ظلماً، وإنما صنع ذلك لأنه كان واعياً بالضروري الذي هو في حاجة إليه وعارفاً بالمشكلة بين الوافد الذي يحتاجه وماضيه الموروث الذي لا بد من الاحتفاظ به. لقد تعلم الصناعة من أوربا وقدم مطبعته التي طبعت علوم أوربا بعملها كما طبعت ذخائر الموروث في أول مشروع قومي لإحياء التراث في عصرنا الحديث.

والطهطاوي الذي يجمع الجميع على أنه صاحب المذهب الانتقائي، وعلى أنه هو الذي وقد سراج التنوير في العالم العربي في عقله حديثاً عن الأوربيين باعتبارهم هم أهل التمدن والتقدم والصناعات الذين يجب علينا أن نأخذ عنهم هذه العلوم والتطبيقات بلا عقد ولا حدود، ولكنه يتقدم خطوة بعد إلى مراده وهدفه من هذا الانفتاح الذي يعني به هو علوم التمدن المدني والعلوم الحكمية العملية، وهو يكرر هذا ويلح عليه فيرى ... إلى الفلسفة الغربية وتصور الأوربيين لتكوين وفلسفتهم في التشريع يحفظ على ذلك وحذق ... لهم من الفلسفة حشوات ضلالية تخالف كل الكتب السماوية. وهذا يجب بعد البعض يعيب ذلك على الطهطاوي لأنه ينتقي. لو ينبغي أن نأخذ كل ما في أوربا حتى فلسفته واللاهوت، ونرى هذا البعض في موقف الطهطاوي هذا سلبية وأرجعية وعجز عن تبني الحضارة الغربية ككل، وأنا أقول إن هذه هي العبقرية عند

الطهطاوي، وهذا هو الموقف الأصيل الذي نحسب فيه الأصالة والمعاصرة على النحو النافع والمطلوب. لقد عرف الطهطاوي ما الذي نحتاجه من أوربا كي نقوي شخصيتنا الحضارية المتميزة فبحث عن «الوافد» الذي يقوي به «موروثنا» المتميز وليس عن «الوافد» الذي يطمس هذه الذاتية الحضارية المتميزة.

ونموذج محمد علي باشا، ونموذج رفاعة الطهطاوي من النماذج الحية التي ترسم لنا معالم هذا القانون الذي أبصره هؤلاء العباقرة المصلحون والمجددون، وأبصروا حكمه لظاهرة الاحتكاك بين الحضارات ذات العراقة والغنى والاستمرار.. ماذا نحتاج؟ وما العلوم التي لا وطن لها، والتي لا خطر على ذاتيتنا المتميزة من وفودها؟ والتي لا بد لنا وأن نسعى إليها سعيا جادا وحثيثا؟ وما الذاتية الحضارية التي لا بد من تجديدها والنهوض بها وتطويرها، مع المحافظة على الأصول والسمات والقسمات التي تضمن بقاء تميزها المتسق مع الشخصية القومية للأمة؟ لأنها بالنسبة للأمة.. كالبصمة بالنسبة للفرد، فكما أن لكل إنسان بصمته، وهو يصافح الكل دون أن يفقد تميزه ببصمته هذه عن الآخرين، كذلك هناك الذاتية الحضارية المتميزة والتي يجب أن نبحث عنها في «الموروث». ونحن عندما نسعى لامتلاك العلوم وحقائقها والاستفادة من تطبيقات هذه العلوم، والاستفادة من تجارب الأمم والحضارات الأخرى فإنما نسعى لامتلاك «مصادر القوة» التي نقوي بها ذاتيتنا الحضارية المتميزة دون أن نخلطها بتلك المصادر التي تمسخ شخصيتنا أو تشوه ذاتيتنا أو تنسخها من الأساس.

إن الإنسان الصحيح [المستقل] هو الذي صحته تتمثل بما يتناول من الغذاء، فيتمثل هذا الغذاء قد يؤدي بحدة المرض. والإنسان ينمو ويتطور فتتغير فيه أشياء، ولكن هناك ثوابت تجعله هو هو رغم النمو والتطور الذي يعتريه. وكذلك مثل الحضارات فيها الثوابت والأصول والقسمات التي تمثل هويتها وفيها المتغيرات التي تفسح الهوامش للتفاعل والأخذ والعطاء مع الحضارات الأخرى. وعلينا أن نبصر ذلك جيدا وأن نميز بينه جيدا حتى نتجنب مخاطر «التبعية والذوبان» ومخاطر «الجمود والانغلاق».

أى موروث؟.. وأى وافد؟..

إن القضية ليست قضية «موروث» و«وافد».. على الإطلاق والتعميم، وإنما هي قضية ما الصالح والأصلح من «الموروث» ومن «الوافد».

[illegible] سنجد في كل «موروث» حضاري «وافدًا» [illegible] ذلك أن بعض «الوافد».. لصلاحه وملاءمته للروح الحضارية يتحول بعد تمثله إلى «موروث».. فالوافد الجديد يمكن أن يكون نافعًا وصالحًا، ويمكن أن يكون ضارًا.. إن الموقف ليس هو [illegible] مع «الموروث» بشكل مطلق، أو مع «الوافد» بشكل مطلق.. وإنما لابد لنا أن نبحث عن «الهوية الحضارية» فنميز [illegible] بين الثوابت وبين المتغيرات التي في هامشها مساحة ومكان للوافد المحقق لمزيد القوة والصحة للهوية وللثوابت الحضارية الموروثة.

وعلى سبيل المثال، فإننا عندما نجد في الموروث العربي الإسلامي «قيم» التواكل والزهد، الذي قد يصل إلى درجة إهدار [illegible] والعمران [illegible] نعرف أن هذا التوكل والزهد

الموروث هو في الأصل «وافد» فارسي دخل إلى الحضارة العربية الإسلامية ووفد عليها من الموروث الفارسي القديم ولكن وسيظل ضارا لقد أصبح موروثا ومع ذلك فإن ضرره عندنا كان واقعا وصار بتقادمه أصبح جزءاً من نسيج هذه الحضارة، فهو موروث لكنه موروث ضار، كما كان وافدا ضارا

و«قيم عصر الحريم» فيما يتعلق بوضع المرأة والنظرة إليها لقد بدأت «وافدا» تركيا مملوكيا دخيلا على الحضارة العربية الإسلامية. ومن يقرأ فتاوى الإمام محمد عبده عن رأي الإسلام في تعدد الزوجات يجد حديثه عن هذه الحقيقة. وبعد تحول هذه القيم إلى «موروث» إلى الحد الذي جعل الكثيرين يتصورون أن قيم عصر الحريم هذه هي المعايير الإسلامية التي نظر بها الإسلام إلى المرأة المسلمة! ونسي هؤلاء أن صورة المرأة المسلمة، في صدر الإسلام كانت المرأة المقاتلة والمناضلة والعاملة والعالمة والتي تدافع عن حقوقها حتى بالمظاهرات. والتي تذهب إلى الرسول ﷺ وتقول له إن الرجال قد استأثروا بك دوننا وأنت مبعوث للجميع فاجعل لنا يوما تحدثنا فيه وتعلمنا أمور الدين. ونسي هؤلاء ليس الصورة الإسلامية لنساء المسلمات اللاتي حملن السلاح ودافعن عن الرسول في غزوة حنين عندما فر كثير من الرجال ... إلخ صورة المرأة المسلمة المناضلة قد انزوت وكادت تتلاشى في صفحات موروثنا، وأصبحت قيم عصر الحريم وصورة المرأة

التي خلقت لتكون متعة الرجال وموضع شهواتهم ومتعة [illegible] بيت السعود هي موروث عربي أضفى عليه [illegible] محاولين تحديده فأصبح جزءاً من الهوية الحضارية للأمة

و [illegible] الثانية منها هي الأخرى [illegible] وبيزنطي، غريب عن الموروث العربي الأصيل الذي يقر بالعدل والمساواة وقيم الاشتراك العمومي بين أفراد القبيلة ثم الأمة في أمور المعاش

والذين يتأملون مغزى موقف خليفة الرسول عمر بن الخطاب من أبهة الملك وامتيازات الوالي التي كان عليها معاوية بن أبي سفيان عندما كان واليا لعمر على الشام والذين يتأملون موقف عمر هذا يدركون كيف كان معاوية [illegible] بالأبهة والحجابة والطبقية [illegible] سبب [illegible] غريبا عن الفكرية الإسلامية المستنبطة في بيئة الجزيرة العربية ولقد عبر معاوية [illegible] الوافد في حياته وأسلوب حكمه لولايته بضرورة [illegible] هيبة الوالي في قلوب الناس [illegible] الأبهة واستعارته من موارث البيزنطيين [illegible] في عاصمة ولاية الشام وقد كان جواب عمر على تبرير معاوية هذا

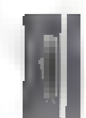
– لا آمرك، ولا أنهاك!

فلقد كان يرى أن واقعه مختلف عن واقع شبه الجزيرة العربية البسيط [illegible] وقد عرف عن البساطة والجماعية التي سادت شبه الجزيرة في تلك التواريخ

وهذا الموقف الغربي والتغريبي قد أصبح «موروثا» وإن نجد أصحاب ... الذين يحملون الحقيقة ... يضفون عليه قداسة الموروث ... وقداسة ... عن مشروعيته ... مستقلة وضرورتها ليتخذ بعض ... بعض الآخر ... ومن ذلك أنهم يضفون قداسة الإسلام الحنيف ... العدل والمساواة والجماعية والتكافل الاجتماعي يضفون قداسة هذا الدين الحنيف على هذا الواقع الطبقي الاستعلائي الذي ... ومجتمعات طبقية لم تعرف ... التي ... الإسلام

... هو جانب لا يتعصب للموروث بمجرد أنه موروث والا يرفض الوافد لمجرد أنه وافد، وإنما لابد أن نبحث عن مكان الموروث من هوية الأمة الحضارية، ومن الثوابت والأصول التي تمثل السمات التي تتميز بها وتمتاز عن الأمم الأخرى، ودور هذا الموروث في المحافظة على التواصل الحضاري في مسيرة الأمة التاريخية ومكانه من ترسانة الأسلحة اللازمة لها في صراعها ضد تحديات العصر الذي تعيش فيه

وإن نبحث كذلك عن ماهية الوافد، وهل هو عامل قوة ضروري للمد ... وعن ... يخرجنا ... تمر أمتنا؟ فإن كانت نهضتنا تقتضيه ومشروعنا الحضاري يستدعيه، فلابد أن نسعى إليه سعيا جادا و... فهو أولى بنا ونحن أولى به من ... قد أصبح قيدا يحول بيننا وبين الانطلاق



ما هي الهُوية؟

وإن كان المعيار في الموقف من الموروث ومن الوافد هو هوية هذه الأمة، وثوابتها الحضارية التي تميزتها، والروح الحضارية المكونة لمزاج حضارتها، فلا بد أن نحدد ما هي هذه «الهوية»؟

هل الهوية هي كل التراث؟

نحن نحسب بالتعميم أن التراث الأمة هو كل موروث هو كل ما ورثناه، سواء منه ما كان من علوم الشرع ومن العلوم العقلية أو في «العلوم التجريبية» كل هذا هو تراث الأمة. وهذا التراث فيه الصواب والخطأ، وفيه المختلف من [illegible] والمتنوع [illegible] لأنه ثمرة لاجتهادات بشرية فكرية وممارسات فكرية متعددة بل ومتناقضة أحيانًا وتدعي في ذلك الواقع القديم. وهذا الواقع الذي تبلور فيه هذا التراث متطور أبدًا ومتغير حتى يحكم قانون التطور الذي هو سنة من سنن الله سبحانه في الكون. وهذا التطور لا بد أن يستدعي تطورًا

فضعف من هذه القراءات وهي التي تسميها ... الصغيرة، ولذلك فلبست عتاقة الكتب واصفرار أوراقها وغرابة حروف مخطوطاتها ولا هم مقولاتها ليست هذه بالمؤهل ولا بالحجة التي تضفي على الموروث القداسة والمصداقية، ومن ثم فنحن اليوم لسنا ملزمين باحترام معارف القدماء ولا بمناهجهم، ناهيك عن مقولاتهم وما ادعوا من مضمونات ونقول بذلك الإلزام عبث والذين يفكرون على هذا النحو ليسوا بقلة

ذلك لأن التعصب ليس الحكم على كل الموروث حتى ولو تجاوزه الزمن، فليس كل موروث هو الهوية الحضارية التي تميز الأمة حضاريًا

ونحن عندما نبحث عن تعريف الهوية نبحث في مصطلحها ليس غريبًا عن موروثنا القديم، فهو واحد من المصطلحات التي ضمتها معاجم قديمة. فنجد الجرجاني [٧٤٠ – ٨١٦هـ ١٣٤٠ – ١٤١٣م] يعرف الهوية في كتاب [التعريفات] وهو قاموس للمصطلحات، تعريفًا بأنها هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق ... أي أنها تعني الذاتية، الخاصية المتميزة التي تميز الظاهرة عن الظواهر التي تشبهها

أما مجمع اللغة العربية فهو يعرف الهوية حديثًا فيقول إنها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وليست أي صفات، وهي تميزه عن غيره

هل هو تعريف [illegible] [illegible] وحديثا، ولذلك فمن [illegible]

يحسن الحديث عن الشخصية القومية والشخصية الحضارية

فماذا تعني الهوية بالنسبة للحضارة

[illegible]

من الصفات الجوهرية التي نعرف عن غيرها من الشخصيات القومية والحضارية أنها الصفة المميزة الممثلة لقدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز شخصا ما عن غيره أو قومية عن غيرها أو حضارة عن غيرها من الحضارات فهي النواة وهي الجوهر

وإن كان يقول إن [illegible] وثنائية الثوابت والمتغيرات فهو يعني أن فيه ما هو [illegible] وفيه ما هو متغيرات [illegible] والتصور وارد على نحو أكيد

وهنا لا بد أن نضرب على ذلك بعض الأمثلة

فالعروبة بالنسبة لهذه الأمة هوية لأنه على مر العصور ومنذ أن امتزجت هذه الجماعة البشرية بالعرب في هذه الأمة الجديدة، [illegible] [illegible] وأصبح ولاؤهم للعروبة بالمعنى الحضاري وليس بالمعنى العرقي والعنصري ومن يقرأ من كتب العلماء العرب الذين تحدروا من أصلاب وأصول عرقية غير عربية يعرف كيف كان ولاؤهم للعروبة وانتماؤهم لها كاملا وخالصا ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال ابن جني [٣٩٢هـ ١٠٠٢م] [illegible] الأصل والذي كتب كتابه

[الخصائص] فجاء أعظم ما كتب في فلسفة العربية يكشف عن
حتى فيخاطبنا كشف به ... لكثير من علماء العربية ذوي
الأصول النسبية غير العربية والمنحدرين منهم من أصل فارسي
على وجه الخصوص، فسألهم عن مقاصد العربية بالنسبة
للفارسية، فوجد جماعتهم على رقي العربية وارتفاعها حتى عن
الفكر وبحوث المقارنة والقياس"[4]

فهؤلاء العلماء قد تعربوا وأصبحوا يفكرون ويبدعون
ويكتبون بالعربية وخلص ولاؤهم لها وهم ... رغم
انحدارهم من أصلاب عرقية غير عربية

والمواريث التي سبقت الفتح العربي والإسلامي، هي كذلك قد
تعربت كما تعرب البشر وسلكت أبناء عصر التدوين في
نسيج الحضارة الجديدة تلك التي تبلورت كثمرة لإسهام جميع
جميع أمم الشرق وكل مواريث هذه الأمم على امتداد عمق
حضاراتها الضاربة في أعماق التاريخ حتى التي لم تكن
نصيب غير العرب الأقحاح في هذه الحضارة العربية الإسلامية
أكبر من نصيب عرب شبه الجزيرة العربية، فما كانت مبالغة أن
الفتح العربي لم يمارس مع هذه المواريث الفكرية والحضارية
سياسة المسخ أو النسخ أو التشويه وإنما أحياها وعربها
وصبغها بصبغة الإسلام وأدخلها في نسيج الحضارة الجديدة

وعندما حضر عمرو بن العاص إلى مصر فاتحاً لها ومحرراً
إياها من القهر البيزنطي، وجد أن الذين يمثلون فكرية مصر
القومية وصلابتها وهم الأقباط «اليعاقبة» - وجدهم

المصريين قد قرءوا في التوراة والأناجيل في عمق مصر [illegible]
ووجد [illegible] مذهب [illegible] العراق
والمصريين [illegible] الفكري الروماني [illegible]
واستبدوا بمؤسسات الفكر في مصر وسيطروا على الكنائس [illegible]
[illegible] «[illegible]» [illegible]
[illegible] [لاهوت]
من كنائس مصر ومؤسساتها اللاهوتية والفكرية وأعاد كل [illegible]
إلى قوم مصر القبطية الأقباط، فعادت فكرية مصر القبطية
يعقوبية في [illegible] من جديد، ثم تعربت هذه الفكرية [illegible]
[illegible] الذين [illegible] الإسكندرية [illegible]
الإسكندرية [illegible] وأسهم وأبدع مع من أسلم في هذا
البناء الحضاري الجديد، ووحدت الإسلام [illegible] «الإسلام
العقيدة» قد [illegible] عند حدود [illegible] وأسلموا [illegible]
عقائد التي بشر بها محمد ﷺ [illegible]
العربية الإسلامية التي تطورت في عصر [illegible]
ثمرة لإبداع كل الذين تعربوا وكل الذين طبعوا بهذه الهوية
الحضارية الجديدة على اختلاف [illegible] الأديان [illegible]

وهذه العروبة [illegible] في [illegible]
وصمدت لكل التحديات، فالمماليك والعثمانيون، قد حكمونا
قرونا [illegible] على القرون التي حكم [illegible] العرب الذين [illegible]
وفي ظل حكمهم ظهرت دعوى التفرقة بين العروبة وبين
«الإسلام» عندما زعمت السلطة أن العروبة تتناقض مع

والإسلام، ومن هنا نرى عمق صلة الهوية الصوفية بالعروبة ونجد الصوفية في ظل الدولة العثمانية في حماية الشخصية العروبية والعربية، حتى لقد سعى الأتراك إلى تتريك الأمة العربية.

ثم رأينا في الجزائر الجهود الاستعمارية المحمومة لفرنسة الشعب الجزائري عندما حاولت فرنسا تحويل الجزائر إلى امتداد للشعب الفرنسي عبر البحر المتوسط.

ورأينا الجهود الفرنسية التي بذلت في قوة واستمرارية واتصال وشمول لحرب تعلم العربية وتدريب دارسيها وقطع الروابط التي تجمع هذه الشعوب العربية والعربية وأدبها. فمرة يرسمون كتابتها بالحروف اللاتينية ومرة يريدون استبدال العامية بها وفي كل الأحوال هم يشككون في أصالة تراثها ويعزلون الإسلام عن عرش حضارته المدنية ولما لم يفلحوا على هذه الجبهات كل أنواع الإيذاء حاربوا العربية بالفصحى بها وبالجهل بها حتى وجدت خطباء ومتحدثين في حيرة الإعلام المسموعة والمرئية ومعهم الكتبة في وسائر الإعلام المقروءة يشيع بينهم وينتشر عنهم الخطأ في الفصحى باللغة العامية. ثم لقد وصلت الأخطاء الفصحى إلى عصر حصة محمدة وحفظ به وعمد الشعر العربي ومعرفة القرآن الكريم والحديث الشريف على ألسنة كثير من الخطباء.

ومع كل ما قلنا وجدت هوية العروبة تكشر عن أنيابها عند كل تنك لتحدد. لقد كشف في الجزائر تحول الجهاد والجوهر وحقيقة منطلقه حتى أن الحماس عاد الجزائر مرة أخرى إلى أحضان العروبة والإسلام.

ولكن تطور المعرفة التي أتيحت قد أعترف وبتحرير الوطن، ولم تنكر للهوية العربية، فحتى حتى الذين بدءوا حياتهم الفكرية مبشرين بالتغريب قد عادوا فأصبحوا وعادت صحبة بهم احتفاء؟

إن بعض الناس يتحدث بسطحية ويستخف بالأمور، مثلا عن «حقبة كتابة الإسلاميات» في حياة أعلام ومفكرين من أمثال عباس محمود العقاد [١٣٠٦ - ١٣٨٤هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٤م] والدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] والدكتور محمد حسين هيكل [١٣٠٥ - ١٣٧٥هـ = ١٨٨٨ - ١٩٥٦م] يتحدث هذا البعض عن هذا النحو فيرجعه إلى أنهم قد تقدموا في السن وفارقوا حيوية شبابهم بكبسة بعيدة عن المعقولية والتنوير، وبدأت مرحلة الدروشة التي اقترنت بتصفية نقلات ثورية ثورة سنة ١٩١٩م التي أوقدت روح هؤلاء الأعلام، ولهذا - بنظر هذا البعض - قد تحرجوا، في مرحلة الهزيمة، يكتبون ما كتبوا في الإسلاميات.

وهذا الكلام السطحي والخبيث يذكرنا بما قاله هذا البعض في تفسير رفض رفاعة الطهطاوي لفلسفة أوربا، بأنه نقص وعيب وسلبية وازدواج في الموقف والشخصية، ونحن نقول إن أصحاب هذه التفسيرات لم يبصروا موطن الهزيمة في مسيرة هؤلاء الأعلام الذين بدءوا متغربين ثم عادوا إلى إطار العروبة والإسلام، كانت هناك هزيمة حقا، ولكنها كانت هزيمة

النموذج الحضاري الغربي الذي تكشف آثاره ووضحت سلبياته وظهر طابعه الاستعلائي والعدواني، فبقي القوم في هيمنة هذا النموذج الحضاري الغربي على عقل الأمة ووقفوا عن يثمر التحضر والقوة والتقدم التي كانوا يؤملونها من ورائه وإنما قد استمر تشويه الموروث والخصوصية والقضاء على فعالية هذا الموروث، لتصبح الأمة راسفة في أغلال التبعية للمركز الأوروبي والغربي المسيطر في كل المجالات ومختلف الميادين. فقد تجذر النموذج الغربي في عقول هؤلاء المتغربين وفي وجدانهم وجاءت أسئلتهم هذه فعادوا أنظارهم إلى أصولهم وموروثهم وقوميتهم الأصلية والأولى. ولذلك فإننا ننظر إلى هذا التحول الذي تمثل في حقيقة كتابة العقاد وطه حسين وهيكل للإسلاميات ننظر إليه كظاهرة صحية وكانتصار للموروث في صراعه ضد وافد التغريب. وفي هذا الضوء نحو نفهم مجرى أحداث فكرية حفلت بها حياة هؤلاء المفكرين والكتاب.

• فطه حسين كان يعيد طبع كتبه بكثرة، ثم لم يعد طبع كتابه [مستقبل الثقافة في مصر] إن السبب في ذلك هو تجسيد هذا الكتاب لطه حسين المتغرب الذي يقول إن عقلية وثقافة المصريين الغربي وتصنف في إطار العقل اللاتيني غير ثقافة حضارة البحر المتوسط.

• ولطفي السيد [١٢٨٩ - ١٣٨٣هـ ١٨٧٢ - ١٩٦٣م] الذي بدا متغربا، ينكر العروبة القومية والسياسية ويستنكر «الجامعة الإسلامية» ويتحدث عنها حديثه عن الاستعمار

لطفي السيد هذا قد عاد في أواخر حياته ينسحب عن تغريبه حيث حديثاً ينقض به ما كتبه عنها في مرحلة «التغريب» ومثل ذلك صنيع طه حسين بالنسبة لموقفه من العروبة، نقوضه التغريبية. لقد عادوا [illegible] المفكر العظيم إلى الموروث و[illegible] فيهم «رواد التغريب» إلى حد كبير. وكانت هذه العودة الحميدة هي الحقيقة التي طبعت بطابعها الحياة الفكرية لهؤلاء الأعلام الذين بدأوا متغربين. فهي إذن ظاهرة صحية عاد بها هؤلاء الأعلام إلى قواعدهم مرة أخرى.

وهذه الظاهرة الصحية التي حدثت في صفوف جيل من «المتغربين الليبراليين» هي التي نعتبر الآن نماذجها وعلاماتها عينها في صفوف جيل من المتغربين الماركسيين فعلينا أن نحذر الخلط والتعسف في التفسير لهذه وحدة من علامات وظواهر النضج الفكري، وواحدة من علامات وظواهر الانتصار الذي يحققه «الموروث العربي الإسلامي» ضد «وافد التغريب» ليبراليا كان هذا الوافد أو شموليا.

ولعل [illegible] كمثال آخر على الهوية [illegible] أن [illegible] أمة متدينة. وهذا الكلام – الذي يتردد كثيراً – ليس عمقاً [illegible] قسمة من قسمات الهوية التي نعبر بها عن العربية الإسلامية. والتدين هنا لا يعني استعارة وخرافة كما أنه لا يعني الدروشة، وإنما هو موقف من ثوابت كثيرة منها:

■ الأسرة التي عدت وكانت وستظل [illegible] في حضارتنا حرماً مصوناً. فقد اكتسبت معنى «الحرم» في الدين

صحيح أن التغريب والتحديث على النمط الغربي قد وجه الكثير من السهام إلى هذا البناء الأسري المتين، وأصاب هذا الحرم المصون بما سمعت أحيانا على الناس فتفككت روابط كانت محكمة العرى، وضمرت الأسرة التي كانت ممتدة.. إلخ إلخ لكننا نلحظ صحوة للفطرة السليمة، والتي تصنع هذه الظواهر المرضية في إطار الأمراض التي لا بد من السعي إلى البرء منها، وفي صدر السوء، الذي يجب أن يحتل مكانه لتسود القاعدة، قاعدة الأسرة باعتبارها الحرم المصون والمصان.

ولقد أدرك أعداء هذه الأمة ما للأسرة من مكان ومكانة في هوية الأمة وثوابتها فحاولوا، وهم يخلعون قانونها الإسلامي من على عرش مؤسسة القضائية من تعميم ذلك في تحطيم القانون الذي يحكم شئون الأسرة فتركوا قوانين الأحوال الشخصية على حالها ليس من باب التسامح ولا حبا في الشريعة، ولا سعيا لدعم بناء الأسرة المسلمة وإنما مخافة الثورة التي توقعوها إن هم مسوا هوية الأمة الحصينة في منطقة حساسة تبلغ في الحساسية إلى مرتبة الحرم المصون.

■ والقيم والأخلاقيات هي الأخرى من ثوابت الهوية التي اصطبغت بالطابع القدسي للدين والتدين، وإلا فبين قيمنا كبير، يقيسون التفاضل بمقاييس المادية، على نحو ما هو حادث في الحضارة الغربية.

قد يكون التغريب والتحديث على النمط الغربي قد حدث في واقعنا شيء من ذلك سواء في المدن، وحتى في الريف

لكن جميع يحتجون عليه بالشرعية والمشروعية ويتطلبون منه تصريحهم في الصعود على القاعدة وإلى الفرص التي يرجون منه السعادة وإلى النمو الخارج عن النسق العام والانسياق الفعلي

• من أن فلسفة التدبير للتمدن في حضارتنا تتجه نحو تشريع الاجتهاد وتستحق الدراسة الخاصة والمتخصصة فقد تعدى أثر التدبير إطار القيم والأخلاقيات والعلاقات الاجتماعية ليصل إلى ميدان العلوم الطبيعية وتطبيقاتها فعرفت حضارتنا ما نسميه بـ "الروح المؤمنة" التي سرت لا في علوم الشرع وحدها فهو طبيعي ووارد ومألوف وإنما في "العلوم العقلية" أيضا التي تتفق في المنطلق والسمة والغاية مع علوم الشرع بل لقد سعت هذه الروح المؤمنة في العلوم الطبيعية التي تمت كعبادة لله يقدمها العلماء سعيا لاكتشاف سنن الله في كونه وسننه في مكوناته فهم ما طبقوه ترى أنهم قد جعلوا الوسائل بالغايات مستهدفين من تطبيقاتها تلك السعادة الدنيوية لتحقق بها تلك التي يدونها من يستطيع تحقيق عبادة الحق بعمران الكون الذي شاء الله أن يعمروه

ونحن نسأل ما الذي يعني إسلام مفكر فيلسوف مثل روجيه جارودي؟ وأهم من هذا ما يعني تمثله لقضية الإسلام بأنه قد وجد فيه الدين الذي جعل الحضارة الإسلامية ترتبط فيها العلوم والمعارف بالحكمة والغاية ... نجد نسخة ماض حقيقي

إن الذين يدرسون تراثنا العلمي يلحظون شيوع الروح المؤمنة في تضاعيف هذا التراث، ونلحظها لحقائقه ونظرياته فحتى قوانين هذه العلوم غير غريبة ولا بعيدة عن الإيمان، فإذا قرأت من تراث ... كتب في [الأحجار والجيولوجيا] نجد المؤلف يبدأ هذه الكتب بـ [بسم الله الرحمن الرحيم] وبـ [الحمد لله] فإذا فرغ من تحرير قال [والله أعلم]

وابن حزم الأندلسي [٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م] يؤلف في المنطق كتابه البديع [طوق الحمامة] فيبدأ كتابه في المنطق بداية الفقيه الذي يكتب في الإلهيات

وابن سينا [٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ = ٩٨٠ ـ ١٠٣٧م] وهو الفيلسوف الذي ... يقرأ كتاب أرسطو [ما بعد الطبيعة] فيستعصي عليه فهمه، ثم يعاود المحاولة حتى يقع في يده كتاب الفارابي [٢٦٠ ـ ٣٣٩هـ = ٨٧٤ ـ ٩٥٠م] فيجد به المفاتيح ويعينه على فهم [ما بعد الطبيعة] فماذا وجدناه قد صنع هذا العقل المتفلسف؟ لقد وضع كتبه وأوراقه جانبًا واحتشد من نقوده، وغادر منزله باحثًا عن الفقراء والمساكين يتصدق عليهم شكرًا لله الذي أعانه على فهم [ما بعد الطبيعة] لأرسطو

إن هذه المواقف والأمثلة بالغة الدلالة على هذا الذي نقول، إن حضارتنا العربية الإسلامية هي حضارة مؤمنة بحق، تأثير التدين فيها أبعد ما هو أبعد من الشعائر والقيم والأخلاقيات والمعاملات فيسري بروحه المؤمنة في العلوم حتى ما كان منها خاصًا بالطبيعة، وفي تطبيقات هذه العلوم

أما الذين يقرءون مؤلفات الحضارة الغربية في العلوم الطبيعية فإنهم لن يجدوا الروح المؤمنة أبدا، بل إنهم سيجدون النقيض على نحو أكبر، فهذه المؤلفات قد لا تتحدث عن الإلحاد ولا تتحدث في إنكار وجود خالق صانع وقادر في هذا الكون، ولا تدعو إلى الهرطقة والزندقة، ولكنها تصحب القارئ من البداية إلى النهاية فتقف بعقله عند حدود المحسوس والأسباب والمسببات في إطار هذا المحسوس، وفي خلال ذلك كله فإنها لا تشعر القارئ بوجود قوة خالقة وراء هذا المحسوس، بل ولا بالحاجة إلى وجود هذه القوة.. إن هذه المؤلفات حتى إذا لم تنكر صراحة وجود هذه القوة الخالقة فإنها ترسخ في الذهن الإنساني تصورا يكون لا يحتاج الإنسان في إدراكه إلى أكثر من الأسباب والمسببات المادية التي يجدها ويلمسها أمام حواسه، وهذا المنهج الغربي وهذه الروح الغربية تكون العقلية غير المؤمنة. ولذلك فإننا حين نتحدث عن الروح المادية واللادينية للحضارة الغربية لا نقف بمقصدنا فقط عند الطابع النفعي في القيم والأخلاقيات وإنما نقصد إلى ما أشرنا إليه من سريان "الروح الملحدة" في التراث العلمي للحضارة الغربية، الأمر الذي ميزها وميزنا عن حضارتنا العربية الإسلامية التي تميزت بروحها المؤمنة تسري في كل العلوم والفنون وسائر الميادين والمجالات.

فنحن عندما نقول إن لحضارتنا تميزا بالروح المؤمنة التي هي أثر من آثار "التدين" في هويتنا الحضارية عندما

يقول إنك لا تتدروش، وإنما يقصد إلى [illegible] قصد أنه حصل
الدين الأفغاني عندما تحدث عن الشرق [illegible] فلسفته الخاصة
ووطنه الذي صنع به إنسان حضارتنا العربي المسلم، فهو
حتى لو مرق من دينه وتزندق واحد، فإن أثر الدين وتأثيره
يظل مطبوعًا عليه مثله في ذلك كمثل أثر الجرح في الجسم بعد
الشفاء والاندمال، فهذا الإنسان لا يستطيع الخروج من جلده
كما يقولون.

والوسطية إنما هي كذلك في حضارتنا، هويتنا، وواحدة من
قسمات الثوابت. والوسطية هنا لا تعني المعنى السوقي الذي
شاع بين العامة من المثقفين والسياسيين لهذا المصطلح
المظلوم؛ لا تعني انعدام الوضوح والاتساق بموقف محدد
والسعي على مختلف الحبال [illegible] من مستحقات
الحسم، وإنما تعني الوسطية في المفهوم الإسلامي: الأمة
الوسط، والموقف الوسط، الذي هو عدل بين ظلمين، وحق
بين باطلين، واعتدال بين تطرفين، ليس بالمعنى الرياضي الذي
يجعل القضية وسطًا بوسط بين طرفين متصورين، ووجود مسافة
عن يمين القضية وعن يسارها متساوية تفصل بينها وبينهما
وإنما بمعنى اشتمال الموقف الوسط على عناصر الحقيقتين
المتقابلتين، بحيث يمكن جمعهما والتأليف بينهما، فالعقلانية
الإسلامية موقف وسط، ليس بمعنى الوسط بين العقل
وبين النقل، وإنما بمعنى التأليف بين براهين العقل
و«النقل» جميعًا، و«العالمية الإسلامية» موقف وسط، ليس

بمعنى التوسط بين المادة والروح وإنما بمعنى الجمع بين محاسنهما والضروري منهما لخلق الإنسان السوي و«الشخصية الإسلامية» شخصية وسط لا بمعنى انعدام القطبية وإنما بمعنى جمعها بين فضائل «الجسد» و«الروح» وفضائل «الدنيا» و«الآخرة». وفضائل «الدين» و«الدنيا» وفضائل «الفردية» و«الجماعية».. إلخ.. إلخ.

ذلك هو معنى «الوسطية» التي هي روح الحضارة العربية الإسلامية ومزاجها. ولذلك أحسب أننا لن نجد في التراث الفلسفي للحضارة العربية تيارا ماديا ملحدا منذ اليونان وحتى العصر الحديث. وهذا التيار قديم وعريق وسابق على ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣م] وعلى الماركسية كما يعرف الجميع. ولماذا لا نجد في التراث الفلسفي لحضارتنا العربية الإسلامية هذا التيار المادي الملحد؟ وهل المصادفة هي التي صنعت ذلك ووقفت خلفه؟! لا أعتقد.. ولا أظن.. وإنما مرجع هذا الافتراق وذلك التمايز إلى تميز حضارتنا بـ«روح الوسطية». وبسبب هذه الوسطية التي وازنت ما بين «النقل» و«العقل» فأصبح لنا «عقلانية إسلامية» تميزت عن «العقلانية اليونانية» التي لم تعرف «النقل - الوحي».. فثمر هذا التوازن منظومة فكرية متميزة.

وإنه لأمر يستحق النظر والتأمل، بل ويستوجبهما، وهو أننا نجد أغلب الفلاسفة والمتكلمين والمفكرين المسلمين قد قالوا بـ«قدم العالم»، وهم، في ذات الوقت، مؤمنون بوجود خالق لهذا العالم القديم. لقد جمعوا بالمنهج الوسطي التوفيقي - وبين

لتلفيق بين القول بقدم العالم وبين الإيمان بالخلق. وهذا
[illegible] على خير وجه [illegible] إن الفلسفة هي التي فسحت للفكر
في الحضارة العربية الطريق إلى التيار [illegible] الذي [illegible]
والذين قالوا بقدم المادة أنكروا وجود الخالق لأنهم رأوهما
ضدين لا يجتمعان ولا يلتقيان. أما الذين قالوا بوجود الخالق
فقد أنكروا قدم المادة لأن الأمرين عندهم أيضا ضدان لا
يجتمعان ولا يلتقيان. ولقد تكون من الأولين الفلاسفة الماديون
ومن الآخرين [illegible] المثاليون على النحو السائد والمعروف
لدارسي الفلسفة الغربية.

أما في حضارتنا التي تميزت بالوسطية حضارة الأمة
الوسط فقد وجدت الحقيقتين ووحدت [المعتزلة] مثلا عندما
يقولون بالخلق من العدم يعنيون على [illegible] القدم [illegible] شيء
ووجدت ابن رشد مثلا يقول إنه قبل الوجود بالفعل تكون
الموجودات بالقوة [illegible] الخلق هو الخلق المستمر الذي يتحول
به الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل والوجود بالفعل إلى
وجود بالقوة، وهكذا باستمرار تحول دائم لا ينتهي في هذا
الوجود كما يقول [illegible] الله قديم وذلك فلا [illegible] يكون قديمة
العالم قديمة أيضا وهو [illegible] المعنى الذي يعبر عنه الإمام محمد
عبده بقوله [illegible] إرادته كمال الله [illegible]

هكذا وجدنا في الحضارة العربية تيارات [illegible]
ومستمر عبر تاريخها تطور [illegible]
ولا شبيه في تاريخ الفكر الفلسفي [illegible]

ان عروبتنا هو معيار حضارتنا الاسلامية التي هي مزاج حضاري مختلف، [illegible] وفلسفة [illegible]

فالمعتزلة وهم رواد وصناع علم الكلام الاسلامي الذي هو فلسفة امتنا [illegible] والذين مثلوا فرسان العقلانية الاسلامية، هم الذين اسسوا فلسفتنا على غير [illegible] وخصوصية [illegible] فلسفة [illegible] في الحضارة العربية [illegible] بينهما الحروب

وهؤلاء المعتزلة عندما [illegible] خصومهم [illegible] نصوصيين [illegible] الأدلة [illegible] في الكتاب والسنة والاجماع قالوا هم [illegible] والكتاب والسنة والاجماع [illegible] الى العقل كقاض حاكم في [illegible] والمقيد، والخاص والعام إلخ إلخ [illegible] من آيات الكتاب لان هذا الكتاب الذي هو معجزة الاسلام [illegible] معجزة عقلية [illegible] على العقل [illegible] هذا العقل وإخراجه عن الأطر التي أحكمتها وتحكمها [illegible]

فنحن هنا امام مؤلفة [illegible] وهي [illegible] عن الفلسفة امام منظومة فكرية ومزاج حضاري [illegible] بين حضارتنا والحضارة العربية على وجه [illegible] بينها وبين كثير من الحضارات

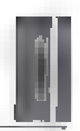
نحن نعرف أن المسيحية الأولى قد سعت «في الصوفية المسالمة وفي السلام الصوفي» إلى حد الدعوة إلى إدارة الظهر للدنيا. ومن ضربك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر، ومن غصبك ثوبك، فأعطه القميص! إلخ.. إلخ

ونعرف أن الحضارة الهندية قد غلب في تصوفها حد الدعوة لإفناء الجسد، بل لقد تعبدت بتعذيبه

أما الحضارة الغربية فإن روحها المادية النفعية و…ـه العالم، سائدة فيها السيادة المطلقة، وفي كل الميادين، حتى لقد صوغت المسيحية المتصوفة فغدت فيها طقوس وشعائر لا علاقة لها بالصورة المثالية التي بدأت عليها.

لكن حضارتنا -كما وضحنا- قد تميزت بالمزج التوسطي … الذي وازن … بين ما حسبه الآخرون -في الحضارات الأخرى- متناقضات لا سبيل إلى الجمع بينها فضلا عن التأليف والتوفيق

هكذا أصبح باستطاعتنا أن نقول أن سمات من مثل «العروبة» و«الدين» و«الوسطية»، إنما تمثل، في حضارتنا «هوية» وأن علينا أن نتخذ منها معيار لصلاح أو عدم صلاح وصحة أو عدم صحة أي وافد جديد بل وأي موروث قديم



التشكيك في ثبات الهوية

لكن البعض قد يعترض على تسميته بوصف و هويته. قد لا يستعصي على التصور والتعبير. ولقد صرح لي بعض الأصدقاء مثلا بأنه على ذلك فإن [illegible] المصطلح يشكل [illegible] تغير من شخص لشخص.

وأنا أقول إن الأمر ليس بهذه البساطة. ولذلك فإننا ندعو إلى تأمل هذه الحقائق التي هي في رأيي جوهر حجة تستحق نظر عميق وتفكر [illegible] تستخلص منه الدلالة.

- فـ كونفوشيوس [٥٥١ - ٤٧٩ ق.م] لا يزال حيا في الصين حتى الآن.
- والإسلام حي في [illegible] كما هو حي في الأزهر الشريف.
- والأرثوذكسية [illegible] كما هي حية في [illegible] الأرثوذكسية.

حدث ذلك ولا تزال تحدث رغم القرون الطوال ورغم عوامل التطور والتغيير التي دخلت منها واخترقتها الأمر الذي يحقق معتقد بقاء الانتماء والهوية ولسانا وآراء ومعتقدات

• وتركيا والإسلام هويتها بعد أن حكمها أتاتورك [١٢٩٨ - ١٣٥٧هـ = ١٨٨١ - ١٩٣٨م] بناء على عوامل داخلية وخارجية لتنحية الإسلام جانبا وفرض العلمانية على تركيا ومر على ذلك قرابة قرن والآن نسأل ما هي تركيا التي تعلمنت منها شريحة محدودة جداً والتي ترى ... البعث الاسلامي الذي يهز تركيا هزا عنيفا وما الانقلاب الفاشستي الذي قاده جنرالات حلف الأطلنطي بقيادة أمريكا في منتصف ثمانينيات القرن العشرين إلا نموذج لمحاولات الحيلولة بين الاسلام وبين السيادة في هذه البلاد من جديد

• والخديو إسماعيل [١٢٤٥ - ١٣١٢هـ = ١٨٣٠ - ١٨٩٥م] في مصر قد عبر عن مصر أنه يريد أن يجعلها قطعة من أوروبا في عصره ثم جاء الاستعمار ليشرع يحث على ذات الطريق ومر ما يزيد عن القرن على سيادة هذا النهج في مصر والآن نسأل ما مصر تلك التي أصبحت قطعة من أوروبا؟ إنها مصر تلك التي استعصت على أن تصبح قطعة من أوروبا، إن الشريحة التي تغربت هي التي خبر التيه وهب أنها قد أصبحت جزءاً من أوروبا، أما جسد الأمة الحقيقي فإنه لم ولن يصبح قطعة من أوروبا وعندما يجد الجد وتحدق بالأمة الخطوب ينطق وجدان

لأمة عربية تنشد «بلادي بلادي» وتحسب الإسلام هو الحصن الذي تتحصن به، وتبرز هويته كسند الشيخ الذي تستند إليه رغم كل محاولات النسف والنسخ والتشويه بل وتستبيح يوما بعد يوم من شريحة متغربة فصلى انتماءها، يعودون إلى قواعد هويتهم حضاريا لتبريرهم كانوا في تغريبهم أو شموليين!

إن هذا ما نسميه بـ «الهوية» هو الجوهر والثوابت والبصمة، والمزاج، والروح في هذه الحضارة، وليس من السهل اقتلاعها، إنها من الثوابت وليست من المتغيرات، وقد تسبب الضعف وعوامل المقاومة والمعاكس لها فتختفي كامنة تنتظر فرصة الظهور أو زوال التبرير وسموه من جديد.

والذين قرءوا تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية يعلمون كيف سارت سياسة الفرنسة شوطا كبيرا على درب المسخ حتى ظن أنصارها أن الجزائر قد غدت بالفعل الامتداد الطبيعي الفرنسي لفرنسا [الأم] عبر البحر المتوسط، ويعلمون كيف كتب واحد من هؤلاء المتغربين، الذين اندمجوا في فرنسا الأم يسخر من فكرة وجود جزائر عربية مسلمة مستقلة عن «فرنسا الأم»، معنون مقالة في حقبة الثلاثينيات من القرن العشرين بعبارة [من يدعي على وطن اسمه الجزائر]!

وهؤلاء الذين قرءوا تاريخ الجزائر يعلمون حجم إن هذه الكلمات التي عبرت عن شريحة التي تغربت وتفرنست ثم [illegible]

لا بالوهم السطحي الذي علا لحين جوهر هوية التونسي، فلقد كانت عروبة وكان الإسلام هوية الجزائر كما هي ثم انصهرت في رحب الوهم وحققت الجزائر النصر الذي تعرفون، ولم يفلح معها كل ما صنعه الاستعمار على امتداد أكثر من قرن من تطوير وتغيير.

التفاعل الحضارى

وغني عن البيان [illegible] كما نرى في ذلك من [illegible] أن الموقف الحضاري هو موقف مختلف تماماً عن الانغلاق أو العداء الحضاري فرفض الانفتاح على الحضارات الأخرى هو موقف ضار فضلا عن أنه غير ممكن في ظروف تزايد حجم الاتصال والتواصل التي تزداد فعالياته في العصر الذي نعيش فيه [illegible]

فالمنظور الحضاري إنما ينطلق من حقيقة موضوعية تؤكد وجود سمات وخصائص وقسمات تمايز ما بين الحضارات المختلفة والعريقة تعبيراً عن تمايز الشخصيات القومية والتكوينات التاريخية لأمم تلك الحضارات. ولقد أثبتت سير التاريخ الإنساني ولا تزال تثبت وتؤكد أن هذا التمايز لم يمنع من التقاء هذه الحضارات وتفاعلها وأن هذا التفاعل عندما كان يحدث ومن موقع الاستقلال لا التبعية وبنهج راشد ورشيد كانت ثمرته طيبة وخيرة بل وضرورية لمختلف الأطراف. وكانت نتيجته دعماً للتمايز وليس إلغاء له ونقيضاً للانغلاق الذي يحمل مخاطر الجمود والضمور والانقراض للحضارة التي تسلك سبيل الانغلاق

بين التطور الحضاري في وضعه الراهن [illegible] وفرضت عليه عدة تحديات كبيرة من أبرز التخلف الموروث من عصور التراجع والانحطاط المملوكية العثمانية ومن بين التحديات التي جاءت مع الغزوة الاستعمارية الحديثة فسنجد أن هذه التحديات قد كشفت [illegible] الحضاري عن [illegible] على أصوله وحاولت اقتلاعها اقتلاعا لتحل النموذج الحضاري الغربي محله بزعم أنه النموذج العصري القادر على تحديث الحياة وتغيير «التخلف الموروث».

وإذا كنا نرفض «التغريب» للنموذج الغربي، حرصا على استقلالنا الحضاري ويقينا منا بعدم صلاحيته في بلادنا، وفي صلاحيته لمثل الغربيين فيه [illegible] لا تؤهله للصلاحية في بلادنا فإننا نرفض، كذلك، أن يكون التخلف الموروث هو البديل للتغريب فهذا التخلف الموروث لا يعبر عن ذاتنا الحضارية وخصوصيتها لأنه [illegible] واقد سلوكي أو [illegible] وركام من الجمود والسكون [illegible] عصر التدهور [illegible] عن المجرى الطبيعي لمسيرة الحضارة الأصل.

و[illegible] رفض التخلف الموروث ورفض «التغريب» [illegible] على عاتق الفكر العربي والإسلامي تقع مهمة الإنكار و[illegible] مهمة [illegible] لمشروع الحضاري النهضوي [illegible].

[illegible] منطلقا من الاحتفاظ بهويتنا [illegible] في الحضارات الأخرى عن [illegible] التي تدعم استقلال هذه الهوية [illegible] ولا [illegible] والتي تزيد هذه الهوية [illegible] ولا تضعفها [illegible] ولـ[illegible]

تخرج هذه الهوية من الكمون والوجود بالقوة إلى الظهور
والوجود بالفعل». انطلاقاً من هذه المصادر؛ فضلاً عن
هذه المنابع؛ في ضوء فقه الواقع المعاصر والتحديات التي تواجه
الأمة وسبل مقاومة سلبياتها، وشحذ طاقاتها، وتحويل سلبيتها ومن
الانغلاق والانحلال؛ تتأتى معادلة استخلاص الهوية من
«الموروث» وضرورة الأخذ عن الحضارات الأخرى عن وعي،
وقوة» حتى يكتمل للأمة المشروع النهضوي الكفيل بتحقيق تجديد

وإذا كان بعض من «الإسلاميين الخصوصيين» يتشكك ويشك
في الإسلامية وجدوى الانفتاح على الحضارات الأخرى والاستفادة
من هذه الحضارات

وإذا كان بعض من «المتغربين» يتشكك ويشكك في قدرة
«الإسلاميين» بإطلاق على ممارسة الانفتاح الحضاري فإننا
نقول: إن ما أشرنا إليه من ضرورة التفاعل الحضاري، ليس
كلاماً غريباً على المنهج العربي الإسلامي ولا هو بالحديث
الجديد غير المسبوق، بل إن هذا الموقف هو الموقف العربي
الإسلامي العريق والأصيل

■ فالرسول ﷺ من قبل أربعة عشر قرناً هو القائل عن
«الحكمة»: إنها [illegible] في غير محدود... فليست محدودة
وعمومها فقط في الحاوية للإصابة وللحكمة

وهو ﷺ الذي يعلم أمته ضرورة التماس الحكمة من
مصادرها بصرف النظر عن المواطن والمعتقدات [illegible] فهو

الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، وهذا يعني وجدها فهو أحق الناس بها.

■ وفقهاء الإسلام هم الذين شرعوا لضرورة الاستمرارية في مسيرة الفكر الإنساني، فقالوا: «إن شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ». فليس هناك حرج يمنعنا من أن نستفيد من الآخرين أو نستلهم سواء اتفقنا معهم أم لا، وأن نسعى إلى الوافد الصحي والضروري الذي يقوي استقلالنا ويدعم خصوصيتنا وذاتيتنا.

■ والكندي الفيلسوف [٢٦٠هـ ٨٧٣م] هو القائل: ينبغي الا نستحي من الاعتراف بالحقيقة واقتباسها من أين أتت مهما كان مصدرها.

■ وابن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ - ١٠٢٦ - ١١٩٨م] يقول: إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك، سواء أكان مشاركًا لنا في الملة أم غير مشارك، طالبين كل صواب.

■ وجمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] هو القائل: إن العلم وإنه هو سيد ولا ... العادات ولا حاجة ... بالحقيقة تقتضي حيث توجد الدين.

«والتمدن الأوربي هو في الحقيقة نمى بالبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني، ولا يخفى على الشرقي، في نهضته أن يقف موقف الأوربي في نهضته، ولا بد من التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم. أما المقلدون فإنهم يشوهون وجه الأمة ويضعفون

ثروتها، ويحطون من شأنها [illegible] يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب.

■ ورفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م] هو الذي يقول: «غلبت [illegible] المعارف البشرية المدنية، والعلوم الحكمية العملية [illegible] وفلسفتهم فهي [illegible] حشوات ضلالية، مخالفة لسائر الكتب السماوية..»

وعلى هذا الدرب سار رواد المد الإسلامي المعاصر

■ فكتب حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] وهو الذي رفض ما في الحضارة الغربية من مادية والحاد وشذوذ وإباحية وأثرة وربا [illegible] كتب يقول: «إن صيغة الإسلام، التي تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، لا تأبى أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعد الإسلام الكلية وأصوله العامة. إنه يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه ويسوي بين الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. ولا يمنع أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان. فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو مفيد من غيرنا ونصبغه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا».

■ والمودودي [١٣٢١ - ١٣٩٩هـ = ١٩٠٣ - ١٩٧٩م] - وهو من أبرز من انتقد الطابع المادي للحضارة الغربية - ذهب إلى القول: «إن موقف الإسلام من الأخذ والعطاء بين الحضارات هو شيء

تطوري في الأمم التي تحتك بعضها ببعض، فهو لا يحبذه فقط بل يريد له الازدهار. فالإسلام لا يريد لجدران التعصب بين الأمم أن تبقى قائمة، فلا تحدث عملية في حضارتها من أمة أخرى شيئاً.

● وسيد قطب [١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦م] وهو الذي سمى الحضارة الغربية «الجاهلية الحديثة» يريد يدعو إلى الإسلام «كتصور مستقل متوحد» وحياة تستمد منه للمسلمين منهج الحياة الذي يسعى لتحقيقه كله.

وفي ذات الوقت، يدعو سيد قطب إلى الأخذ عن الحضارة الغربية علومها التطبيقية التي هي «حضارة» و«سيادة العبقرية الأوربية في الإبداع المادي».

• • •

إذن ليس هناك خلاف في حضارتنا على ضرورة التفاعل الحضاري بدءاً من أحاديث الرسول ﷺ إلى الفقهاء والفلاسفة ورواد التجديد والصحوة الإسلامية وضرورة تفاعل هذه الحضارة في التفاعل مع غيرها من الحضارات. ليس هناك خلاف حول هذا الموضوع. لكن هذا الإجماع يتفق في حضارتنا على ضرورة التمييز بين هوية الأمة التي تميز حضارتها، وبين العلوم العامة، على الحقائق والقوانين وتطبيقاتها، وهي التي لا وطن لها ولا جنس، ولا تتشكل بأشكال البيئات الحضارية المتمايزة.

فالهوية لابد وأن نبحث عنها في «الموروث» والعلوم التطبيقية وتطبيقاتها وما هو صالح ومفيد وضروري من

للحضارات الإنسانية وكل ما يمثل الحضارة فوق الهوية الحضارية المتميزة للأمم والسعي إلى تسميمها وتمييعها وتوظيفه لخدمة المشروع الحضاري المتميز، وخدمة الهوية الحضارية المتميزة.

فليس هناك أي خلاف إذن حول ضرورة الانفتاح على الحضارات، وضرورة التفاعل مع تعدد الحضارات من موقع الراسخ المستقل. وإنما الخلاف كل الخلاف هو مع دعاة العالمية الحضارية، الذين يزعمون - لتبرير هذه العالمية - أن الحضارة الغربية هي الحضارة الإنسانية والعالمية والعصرية الوحيدة وأنها النموذج الوحيد للتحضر والتحديث، وهم لذلك ينكرون التعددية الحضارية والتميز الحضاري... إن الخلاف كل الخلاف هو مع هذه المقولة المغلوطة والدعوى الخطرة والباطلة.

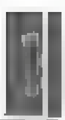
أما إذا وضعنا يدنا على الوحدة الحضارية التي يعني ... والمعاصر فسنجد هناك من يرى التحضر والتحديث في الحضارة، فهل يعلم الذين يزعمون وحدة الحضارة التي هي في نظرهم الحضارة الغربية أن كنفه سياسي الاستعماري الأمريكي جون فوستر دلاس [١٨٨٨ - ١٩٥٩م] عن وحدة الحضارة الغربية التي تبنى تحتم في نظره الدعوة الصهيونية وحركتها وكيانها العنصري الاستيطاني الذي أقامته في فلسطين؟ هل يعلمون ذلك؟ وإذا علموا فهل يصلون على دعوتهم لأمتنا العربية الإسلامية إلى التحضر بذات الحضارة التي تحتم ...

[illegible] والمصريون [illegible]
الحضاري الذي ترتضونه لأمتنا [illegible] المعروف بالإسلام»

* * *

إننا لا نؤمن [illegible] في الموقف تجاه الموروث [illegible] فالموقف إزاء الموروث يخضع للفحص والانتقاء والاختيار والمعيار هنا هو مدى ما يمثله من عناصر القوة التي تتسق مع طبيعة [illegible] الحضاري ونريد هذا العنصر قوة دافعة على أن يكون [illegible] سبيلا للتقدم والنهوض [illegible] موروثنا فهو [illegible] الحضارية [illegible] أسلافنا العظماء ومظهر عبقرية أمتنا ومحل الخصائص التي تميز حضارتنا العربية الإسلامية عن غيرها من الحضارات.

وهذا الموروث [illegible] الذي يمثل الإسلام مكونه الأول ومصدر الصحة والحق فيه ليس تاريخا مضى وانقضى ولا أكفان موتى ولا قيود تشد الحاضر إلى ماض سحيق وإنما هو طاقة مبدعة وخلاقة وروح سارية في عقل الأمة ووجدانها. وإذا كان تمايزنا الحضاري، وعدوانية الحضارة الغربية، يفرضان علينا الحذر عندما نبصر في الوافد الحضاري فإن ذلك يجب ألا ينسينا أن «التجديد هو سبيلنا المأمون إلى تمييز الثوابت من المتغيرات» في موروثنا وفرز الصالح من الطالح فبالتجديد وحده نعيد الحياة لهذا الموروث [illegible] وعند ذلك تتحقق الاستمرارية الحضارية دونما قيود على توجهنا وتطورنا إلى الأمام



نحو مشروع حضارى متميز..

ونحن نؤمن أن «النهضة» - بكل ما تعني من تغيير شامل وجذري - هي سبيل أمتنا الوحيد لعبور ما يفرضه عليها الأعداء من تحديات، ونؤمن كذلك بأن المهمة الملحة لحركتنا الفكرية هي بلورة المشروع الحضاري الذي هو أساس هذه النهضة، وإذا كنا لا نزعم أننا نملك كل الوضوح الذي يوقفنا بصورة معالم هذا المشروع والذي نعتقد أن صياغته لا بد وأن تكون ثمرة عمل جماعي كبير - فإننا ندعو كل المؤمنين بالتميز الحضاري، والمدركين لأهمية وضرورة استقلال أمتنا الحضاري ندعوهم إلى الإسهام في بلورة ملامح هذا المشروع الذي هو طوق النجاة لهذه الأمة من مخاطر الجمود والتخلف الموروث .. ومن مخاطر المسخ القومي والمحو الحضاري والتشوه المعرفي الذي تمارسه الحضارة الغربية مع حضارتنا وكل حضارات الأمم التي ابتليت بالاستعمار والتغريب.

وفي إطار هذه المهمة الفكرية، فربما كان مفيدًا أن نضع أمام العقل العربي والمسلم «نقاطًا» هي أشبه ما تكون «برءوس

الموضوعات، والمحاور التي نعتقد أن خوضها في قسمات صورة ذلك المشروع الحضاري العربي الإسلامي البديل:

■ تلك تدعو إلى تأمل "التوحيد" باعتباره فلسفة الأمة وروح حضارتها، والبوصلة الموجهة لمعسها في نظرتها للكون وفي الألوهية والمقدس، وفي التأليف بين الوطني والقومي والإسلامي. فالتوحيد: ملمح من أبرز ملامح حضارتنا - بل لا نغالي إذا قلنا إنها حضارة التوحيد - إنه ملمح من ملامح حضارتنا التي تميزت به، وبه جاءت دياناتها السماوية جميعا. فحتى نجده في تراث مصر القديمة عند إخناتون [١٣٦٩ - ١٣٥٣ق م] في العقائد التي تحدثت عنه الإله الواحد عن خالق الكون كله إنه جزء من مواريث حضارتنا جاء من تعدد الآلهة المقدسة، وبه تميزت عن صورة التوحيد في [العهد القديم] تلك التي جعلت "التوحيد" أقرب ما يكون إلى الوثنية، الله فيها هو إله لبني إسرائيل وحدهم، أما الشعوب الأخرى فلها آلهتها الخاصة بها.

وحتى وثنية العرب القديمة في جاهليتهم التي سبقت الإسلام، فإنها كانت "انحرافا" عن جوهر ونقاء هذا "التوحيد":

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾[1]

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[2]

وهذه الروح التوحيدية التي سعت في روح الحضارة الشرقية منبع "الهوية"، وسواها من المقسمات هي التي جعلت

(١) لقمان: ٢٥ (٢) الزمر: ٣

المسيحية تعجز عن تلبية احتياجات الأسس الشرقية الاعتقادية، عندما أصابتها التأثيرات «الهلينية» بعد خروجها من الإطار الشرقي للتوحيد! فكان دخول شعوب الشرق في دين الله -الإسلام- أفواجا، دونما إكراه بالترغيب أو الترهيب رغم حرية الاعتقاد التي أبقت المؤسسات الكنسية وما لها من تراث في الجدل وخبرات في التبشير. لقد كان التوحيد الإسلامي، الذي بلغ الذروة في البساطة والنقاء، والذي أعاد إلى هذه العقيدة- التي هي جوهر الدين - صفاءها ونقاءها كان هذا «التوحيد» هو «الهوية» التي أعادت شريعة الإسلام الكشف عن جوهرها والتي حددت الأساس الشرعي لها.

ولذلك فنحن ندعو إلى تأمل هذا «التوحيد» ودوره وإمكانياته التي من الممكن أن يكشف عنها مشروعنا الحضاري المنشود.

• وندعو إلى تأمل «العروبة» بمعناها الحضاري غير العرقي أو العنصري. وتأمل العلاقة العضوية التي تربطها بالإسلام، بمعناه الحضاري الذي يتجاوز نطاق الشعائر والطقوس فلا يقتصر عليها وحدها. ففي هذه العلاقة نفي للتناقض المزعوم بين الدائرة القومية والدائرة الإسلامية وترتيب للأولويات للعمل انطلاقا من الدائرة الوطنية فالقومية فالإسلامية، فالإنسانية.

ندعو إلى تأمل علاقة «العروبة» بـ «الإسلام»، وما تعطي هذه العلاقة من إمكانيات وملامح في مشروعنا الحضاري لدى مفكرينا.

• وندعو إلى تأمل «الوسطية الإسلامية» كمعيار للتوازن

وتبعث على المؤانسة التي غدت ملمحاً من ملامح شخصيتنا الحضارية. ومن ثم فإنها ملمح من ملامح مشروعنا الحضاري الذي ندعو إليه.

إنني أتصور أن "وسطيتنا الإسلامية" هذه ستمنح لمشروعنا الحضاري ذاتية متميزة:

■ فهي النظرة للإنسان وسطية تراه خليفة لله في الأرض، وليس السيد المطلق لهذا الكون، والخالي من الحكمة المستورة.

■ وفي الحرية الاختيار في حدود الثوابت التي تمثل إطار الاختيار، ومن ثم فهي وسطية بين الليبرالية المطلقة وبين الشمولية المطلقة. قد تكون "الديمقراطية الموجهة" هي أقرب الصيغ للتعبير عنها: اتفاق على الثوابت والمعايير وإطار المشروعية، ثم تعددية في السبل والمناهج والفروع والتفاصيل.

■ وفي الاقتصاد: ملكية الرقبة في الثروة القومية لله وحده، والأمة ككل مستخلفة عن الله في الأموال، فلا مكان للحرية الاقتصادية والملكية الفردية بمعناها المطلق في الفلسفة الليبرالية الغربية، ولا مكان كذلك لتجريد الإنسان الفرد من أي حق في التملك الذي يحفزه للخلق والتنمية والإبداع، لأن كون "الملكية الحقيقية" لله يصحبه كون الملكية المجازية للفرد، أي ملكية المنفعة التي هي الوظيفة الاجتماعية للمال.

■ وفي طبيعة السلطة وعلاقة الدين بالدولة: توسط بين "الكهانة" ووحدة الدين والدولة وبين "العلمانية" وفصل الدين

عن الدولة يتجسد في التمييز بين الدين والدولة، فالدولة في مشروعنا الحضاري إسلامية، للشريعة بمقاصدها المرجعية عليها والمشروعية في قانونها لكنها ليست الدولة الدينية التي تحكم بالحق الإلهي و رجال الدين فيضفي العصمة والقداسة على البشر وتشريعاتهم باسم الدين.

■ وفي مفهوم «الأمة» توسط بين المفهوم القومي العلماني الذي يستبعد الدين من القسمات المكونة للأمة، وبين المفهوم الكهنوتي الذي يستبعد غير المسلمين من إطار الأمة. فالأمة بالمعنى القومي تستوعب كل الدين وحدت بينهم السمات القومية فهم جميعا أمة المواطنة يستوون ويتساوون في حقوقها وواجباتها ثم هم جميعا يجمعهم الاحتكام إلى الشريعة التي هي - في أعلى مبادئها - قانون وضعي محكوم بإطار الإسلام وحدوده وروحه.

وعلاقة هذه الأمة بالدين علاقة وثيقة. فدين الله واحد هو دين التوحيد في الألوهية والإيمان بالبعث والعمل الصالح وفي إطار هذا «الدين» الذي هو واحد أزلا وأبدا تتعدد «الشرائع» - التي هي طرق التدين بهذا الدين - أزلا وأبدا كذلك. فالوحدة في الدين والتعدد في الشرائع سنة. والاحتكام إلى شريعة الإسلام المدنية - التي لا نقيض لها ولا بديل عنها في التشريع غير الإسلامية - هي صيغة التوافق والاتفاق بين الأغلبية المسلمة والأقليات غير المسلمة في المشروع الحضاري الذي ندعو إليه.

ومكان الإسلام في تحديد مفهوم «الأمة» هو الرباط الذي يجمع الأقليات المسلمة غير العربية إلى الأغلبية التي جمعت بين العروبة والإسلام!

تلك نماذج لملامح من هذا المشروع الحضاري العربي الإسلامي. وهي بالطبع لا تخرج عن إطار النموذج الذي ننتظر كما علت الجهود الفردية والجماعية التي تغنيها وتكملها، حتى تتحول إلى مشروع مؤهل لأن ننهض بالأمة وننهض به الأمة من واقعها الراهن، الذي تكالبت عليها فيه التحديات. وخاصة تحدي «التغريب» وتحدي «التخلف الموروث».

وإن كنا نعتقد بالأهمية التي تمثلها هذه النماذج لهذه الملامح من «المشروع الحضاري» المنشود، فإن الأهم هو الاتفاق على:

- مبدأ التمايز الحضاري، والتعددية الحضارية.
- وضرورة الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية.

ثم تتجلى الحقائق في صورة ملامح هذا المشروع الكافل لأمتنا النهضة والانطلاق.

تلك هي الكلمة السواء التي ندعو إليها كل الذين يؤمنون بأن الاستقلال الحضاري هو طوق النجاة لأمتنا العربية الإسلامية من مخاطر التحديات التي فرضتها وتفرضها أعداؤها الكثيرون.



الأزهر والتغريب

تمهيد

* أما الأزهر فهو - رغم انعدام الحاجة إلى تعريف - أشهر الأعلام

ذلك «المسجد - الجامع - الجامعة» الذي اقترن بناؤه ببناء القاهرة، عاصمة تحول مصر من دور «الولاية» إلى مركز «الخلافة»، فكان منارة أهلتها للنهوض بعبء هذا الدور الجديد

لقد شرع جوهر الصقلي [- ٣٨١هـ - ٩٩٢م] في بنائه في [٢٢ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٣ أبريل سنة ٩٧٠م] وتم بناؤه بعد عامين [٩ رمضان سنة ٣٦١هـ - ١٤ يونيو ٩٧٢م]

وفي جانب الصلاة بدأت تلقى فيه دروس العلم في صفر سنة ٣٦٥هـ أكتوبر سنة ٩٧٥م، أواخر عهد الخليفة المعز لدين الله [٣١٩ - ٣٦٥هـ = ٩٣١ - ٩٧٥م]

فلما كان عهد الخليفة العزيز [٣٦٥ - ٣٨٦هـ = ٩٧٥ - ٩٩٦م] استوى الأزهر جامعة علمية ومنارة فكرية، فيها العلماء والطلاب من كل الأجناس والأقاليم والنحل والمذاهب، وكان ذلك في سنة [٣٧٧هـ - ٩٨٨م] ثم توالت الحروب وتبدلت الدول، وتغيرت النظم، وتنوعت صروف الدهر والأزهر باق يزداد رسوخًا وتتزايد دوره، ويتوهج ضياؤه، فلقد حمى العربية والإسلام فغدا له في حياة أهلها مكانة الحمى والحارس الذي نهض وينهض بتجديد ما أراد الله سبحانه عندما

قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]

هذا عن الأزهر

■ أما «التغريب» فإنه الحاضنة الفكرية للحضارة الغربية المتميزة بطابعها المادي وغير المعتقدة بالسلطة «المؤمنة» بكون الحاجة إلى فصل الدين عن الدنيا، وتحرير الدولة من إطار الدين، وتنحية النصوص والمأثورات الدينية من طريق العقل في كافة الميادين

وإذ كانت حملة بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] على مصر [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م] قد مثلت طلائع الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على ديار العروبة وعالم الإسلام فإن هذه الغزوة الحديثة قد تعلمت من الغزوة الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠هـ = ١٠٩٦ - ١٢٩١م] أهم الدروس فالصليبيون قد جاءوا إلى بلادنا فرسانا مقاتلين، ليس وراءهم فكر وليست لديهم مواهب حضارية ولا يملكون سوى الجهل والفروسية والتدمير ولذلك ظهرت آثار وطنية لغربي مؤسسات فروسية ودولها [إمارتية وأمويسة ومملوكيه] وظهر بها الفرسان الصليبيين ثم تحطمت الغزوة الصليبية وزالت آثاره وكان تحرير السلطان الأشرف بن قلاوون [٦٨٩ - ٦٩٣هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣م] لمدينة عكا من قبضة الصليبيين في [١٧ جمادى الثاني سنة ٦٩٠ هـ - ١٧ يونيه سنة ١٢٩١م] القضاء المبرم على جميع آثار تلك الغزوة التي استمرت قرابة القرنين من الزمان

1) الحجر ٩

لقد تعلمت الغزوة الاستعمارية الحديثة من سابقتها درسا خطيرا وخطرا؛ فجاءت معها بفكر حضارتها المنتصرة جنبا إلى جنب مع أدوات الدمار الحربي التي اخترعتها تلك الحضارة فبالأدوات العسكرية تفتح الأرض وتقبض على خيرات الثروة، وبالمعاهدات والاتفاقيات ورءوس الأموال يتم نهب ثروات عالم الإسلام واستخلاص خيراته وإفقار شعوبه، وبالقواعد العسكرية يتحول عالمنا إلى هامش يحقق الأمن لأوربا الاستعمارية وبالفكر الغربي يتم أسر العقل العربي والمسلم حتى ينسلخ عن منبعه الحضاري العربي الإسلامي المتميز فيتحول هو الآخر إلى هامش للحضارة الأوربية المنتصرة.

بل لقد رأى ثقافة هذه الغزوة وساستها أن التغريب والنجاح في محو الشخصية القومية المتميزة للعرب والمسلمين وتحويل أمتنا إلى هامش لحضارة الغرب هو الضمان لتأبيد النهب الاقتصادي لبلادنا ولبقاء هذه البلاد قواعد لأمن الغرب حتى بعد زوال الشكل السافر والمسلح للاحتلال فبالتغريب يقع العرب والمسلمون في "الأسر الحضاري" وتصبح تبعيتهم للغرب هدفا يسعى إليه المثقفون.

* * *

ومنذ البدء كان الأعداء على وعي تام بأن العربية والإسلام، هما حصن هذه الأمة عبر تاريخها الطويل وخلال كل الصراعات التي خاضتها في ذلك التاريخ. فمنذ أن ظهر الإسلام عقد التاريخ لواء قيادة الشرق للأمة العربية. ومنذ ذلك

شرح كتاب صحيحه «والإسلام» هي صدد تصحيحات ونقصت على مجتمعه الأجنبي ما فرض عليه من مخاطر ودواهم وطنيه عن تحديثه. ومن هنا كان اتجاه سهام التغريب إلى «العربية» و«الإسلام». ومن ثم كان إحداق تهاجم محاصر التغريب بالأزهر حصن العربية، وقلعة «الإسلام». وكان الدور المرسوم للتغريب الذي نهض به الأزهر في أخطر ميادين صراع أمتنا ضد الغزوة الاستعمارية الحديثة.

حقاً لقد أحكم الاستعمار قبضته على أجهزة الدولة فصبغها بصبغته الإدارية بل ونجح في أن يحقق فيها حضارية تعرسه المعمار ونموذجه ومصادر المشروعية في هذه الأجهزة. وبعد فكرية التغريب بواسطة «كتب الاستشراق» وأساتذة الاستشراق لدى صنعو جامعات حديثة لمسحة الكبرى من عقليتنا. وغدت التغريب المستمدة من فلسفة حضارته من التشريع في سدة والحكم في مؤسسات القضائية بدلاً من فقه المعاملات الذي أبدعه فقهاؤنا العظام. وتحولت مؤسساتنا الدستورية ومعها دساتيرنا إلى صورة باهتة لمثيلاتها في الغرب الاستعماري. وغدت أداة التغريب تنشر «الرؤى» و«الأفكار» و«المعايير» في الأدب والفن، بل لقد استعرنا أدوات التعبير كما استعرنا المذاهب الفكرية، وتعلقت نفوس كثير حتى نجد في حياتنا الفكرية مكاناً للجمهور الذي ابتدعها الغرب لما احتضنت به مجتمعاته من إشكالات. وفي العلوم ومناهجها، وفي الفلسفة ومقولاتها ... مناهج

معرفي الأدبية وإلى نقص العقل وجدة [illegible]
أحد [illegible] نسبية [illegible] عن وسطية الإسلام التي
[illegible] تماس [illegible] واسع [illegible] واحد من [illegible]
و[illegible] كثير الله [illegible] وكذلك
الأسطورة الكونية [illegible] وعدت الشعوب في [illegible] ودل عليه عموم
ومتوسطيتهم وكذلك تقدم السلوكية صورة [illegible] في [illegible] في
أوصاف [illegible] وأصبحت صحفنا [illegible] وأبواب [illegible]
نفس [illegible] في الغرب وعدت المرأة الحريم مملوكة
[illegible] لا تترجح إلى صورة المرأة الإسلامية [illegible] في
أسس [illegible] في [illegible] والرأي في [illegible] وسندا
في نكوص الأسرة [illegible] المجتمع الإسلامية [illegible]
ومشاركة في أحيان [illegible] حرية [illegible] تقدم
لتسلك [illegible] المرأة العربية مرحلة الاسترداد [illegible] في
استحلاب [illegible] والشهوة على [illegible] الشعب [illegible]
الأحزاب [illegible] المصريات [illegible]
وقواعد التنظيم فضلا عن [illegible] لدى كثير منهم
[illegible] الغرب الاستعماري في هذا التحديد [illegible] وظهر
الحديث عن [illegible] التقدم إلى [illegible] في الجديد
و[illegible] والكتاب والصحفيين [illegible]

هكذا وعلى هذا النحو شهدت [illegible]
وامتدت [illegible] عقول [illegible]
صنعت في جامعات الغرب [illegible]

جامعات العربية. اللهم إلا من عصم الله من تيار هذا الطوفان الطاغي الذي اقتحم ديارنا على ركاب الاستعمار الحديث

الأزهر

ظل الأزهر يحتفظ في موقفه متمسكاً بالعربية والإسلام، ومدافعاً عنهما ورافضاً كل ألوان التغريب ومقاوماً للمستعمرين بكل أسلحته التي رفض أصحابها رفض ... ثيابه لأكثر من مرة حتى ظهرت شراسته في رفض التغريب والتطبيق للأسلمة التي ترفع شعارها من أجل الإسلام السياسي والدولة الإسلامية

وهنا من حق المرء أن يوجه الأسئلة التالي:

هل استطاع الاستعمار دون كبير عناء أن يمد طوفان التغريب في بلاد كمصر بها الأزهر وما هذه الحقيقة المعقودة على الأصابع رغم ما للأزهر من تاريخ عريق وما في العربية والإسلام من طاقات وحيوية منبثقة، بطلبة مع عراقة التغريب ... لم تتسع الدائرة الرافضة للتغريب من حول أزهرنا العريق؟

في اعتقادنا أن السبب الرئيسي في ضعف امكانيات الأزهر لمقاومة التيار التغريبي كامن في أن الهجمة التغريبية قد داهمت الأزهر وهو في لحظة ضعف، وأنه قد خاض معركته هذه وهو أشبه ما يكون بمن نزع سلاحه، أو على الأقل سلاحه الأفعل في مثل هذا الصراع

لقد عاش الأزهر حياة مصر والعروبة والإسلام كما حدث يعيش في الأمة ويتفاعل بها، يقوى بقوتها ويضعف بضعفها. فلما كانت العصور الوسطى، وسيطرت سلطة العسكرية المملوكية الأعجمية على الدولة، دخلت حضارتنا دور الأفول فتوقف الإبداع والحلول والاجتهاد في ميادين «العربية» و«الإسلام». وبعد مرحلة «الجمع والتصنيف» المملوكية انحدرت إلى مرحلة الشروح والحواشي والتهميشات العثمانية فضعفت فعالية مشيخة الأزهر عن الريادة وعن ... فكرية للعرب ... تلك التي جاءت مسلحة بثمرات إبداع حضارة مصرية، ملكت العلم وتصنعت به وامتلكت الأرض وأحكمت قبضتها على رقاب المستضعفين.

وقد أسهم في زيادة ضعف الأزهر عن نهضة ومهمة ما أصابته به العثمانيون خلال القرون الثلاثة التي سبقت غزوة الاستعمار وهجمة التغريب.

■ فالسلطان العثماني سليم [٨٧٥ - ٩٣٦هـ ١٤٨٠ - ١٥٢٠م] عندما فتح مصر [سنة ٩٢٣هـ ١٥١٧م] نزف من عروقها أزكى دمائها وحملها معه إلى بلاده فقد نزع من مصر ألفًا وثمانمائة إنسان، منهم أمهر الصناع والعلماء والمبدعين في مختلف الفنون والصناعات، ومنهم نصف قاضي القضاة و... الفقهاء. لقد نزع عقل مصر من أمهر حملته وصناعه فزادت خسارتها بفقدهم عن خسارتها في التحف والنفائس والمصنوعات والآثار التي اغتصبها هذا السلطان من المساجد والأضرحة والقصور وحملها له مراكب الجمال إلى الأستانة.

وكانت تعطلت بمصر خمسون صنعة (١) أصاب الضعف والعطب مكتبات الأزهر لسرقتها.

■ وبعد أن كان الأزهر يفيد مصر فضلا عن غيرها باقتصاده، صيرته قصبة مصر للأتراك منذ محرم سنة ٩٢٩هـ نوفمبر سنة ١٥٢٢م (٢).

■ وكانت المدارس التي بنيت بمصر منذ عصر صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢هـ - ٥٨٩هـ = ١١٣٧ - ١١٩٣م] قد غدت الامتداد المادي والفكري للأزهر يدرس فيها شيوخه ويتخرج فيها العلماء على منهجه. فجاء العصر العثماني ليدمرها بمظالمه، حتى تحدث علي مبارك باشا [١٢٣٩ - ١٣١١هـ = ١٨٢٣ - ١٨٩٣م] عن ذلك في [الخطط] فيقول: "لقد أهمل أمر المدارس، وامتدت أيدي الأطماع إلى أوقافها وتصرف فيها النظار على خلاف شروط واقفيها، ومنعوا الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فتركوا معارفها وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها، لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد حتى انقطع التدريس منها بالكلية وبيعت كتبها وانتهبت، ثم أخذت تتشعث وتتخرب، ومدت أيدي الطمع إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها، حتى صار بعض تلك المدارس الفخمة والمباني الجليلة زريبة أو حوشا أو غير ذلك ولله عاقبة الأمور" (٣).

١ - [illegible] طبعة القاهرة سنة [illegible] ١٩[illegible]م.
٢ - المصدر السابق ج٣ ص [illegible]
٣ - علي مبارك: [الخطط] [illegible] ج٣ ص [illegible] دراسة وتحقيق د. محمد [illegible] طبعة بيروت سنة ١٩٨١م.

■ وبقد بعكس «الفقر المادي والفكري» الذي مر الجمعية
المتصلبة على الأزهر قرارات غريبة عن العلوم التي ابدعها
السلف والتي تأسست عليها صفحة الأزهر الحضارية، ووقف
التدريس فيه عند الكتب التي ألفها «علماء» العصر المملوكي
العثماني، وهو العصر الذي توقف فيه الإبداع واغلق فيه باب
الاجتهاد، بل وقتصر التدريس غالباً على علوم الوسائل
والأدوات، حتى لقد غدت علوم وفنون مثل المنطق والفلسفة
والتاريخ والجغرافيا، غريبة برئت منها الكثير من الشيوخ
ويخشون ضررها على الإسلام!

وفي الحوار الذي يحكيه المؤرخ الجبرتي [١١٦٧ – ١٢٣٧هـ
= ١٧٥٤– ١٨٢٢م] والذي دار بين الوالي التركي احمد باشا
[كور وزير] – وبين شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوي
[١٠٩٢ – ١١٧١هـ = ١٦٨١ – ١٧٥٧م] تجسيد للحال المتكرر
التي بلغها الأزهر [١١٦٢هـ – ١٧٤٩م] في مطلع القرن من
حملة بونابرت وبدء هجمة التغريب

الوالي التركي المسموع عندنا بالديار الرومية [التركية]
ان مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق إلى
المجيء إليها فلما جئتها وجدتها كما قيل «تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه»

شيخ الأزهر هي يا مولانا، كما سمعتم معدن العلوم
والمعارف

الوالي: وأين هي؟ وأنتم أعظم علمائها، وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئا، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل، ونبذتم المقاصد.

شيخ الأزهر: غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث.

الوالي: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشريفة بل هو من شروط صحة العبادة كالعلم بدخول الوقت، واستقبال القبلة، وأوقات الصوم والأهلة، وغير ذلك.

شيخ الأزهر: نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية، وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والأمور العطاردية، وأهل الأزهر بخلاف ذلك، غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك.[1]

هكذا صدمت الحقيقة العتيقة بالأزهر، فصار مجالا لتحدي الدهور الدارس التي ملئت بها المجال، وصار مثالا للفقر الفكري الذي كان سمة لهذه الحقبة في كل المجالات وجميع الولايات، وهكذا جاءت الهجمة الفرنسية القوية تجاه الأزهر أشبه ما يكون بالفارس الذي يحمل سلاحا تراكم عليه الصدأ وعلاه الغبار.

[1] الجبرتي: عجائب الآثار ج٣، ص ٨٢ ـ ٨٣، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة سنة ١٩٥٩م.

لكن الأزهر مع [illegible] لم يستسلم وظل [illegible]
يستسلم لتيار التغريب. لقد حصن موقعه، فنجحا، لأكثر من قرن ونصف من تأثيرات التغريب، ومن وسط المجتمع الذي [illegible] التغريب الاستشراء [illegible] إلى أن تعود الأمة إلى ذاتها وهويتها الحضارية المتميزة، والتي بدونها لن تتحقق بها الاستقلال الحقيقي عن التبعية للاستعمار.

والأمر الذي يثير الدهشة والإعجاب معًا أن الأزهر في معركته هذه التي قاوم بها التغريب قد استخدم كل أسلحته السلبي منها والإيجابي على حد سواء!

المقاومة بـ«المحافظة»:

في صراع [illegible] ضد التحديات التي فرضتها علينا الأعداء [illegible] على أهليهم واستمر من [illegible] لا يعقلون [illegible] والعنف واستمرار التي مثلتها هذه التحديات على الجزائر مثلاً، وعندما مارس الاستعمار الفرنسي قهر لسحب [illegible] قومية للشعب الجزائري ومسخ الهوية الحضارية للأمة [illegible] فرنستها وسلخها من العروبة واستمر [illegible] من الإسلام [illegible] الجزائريون دفاعًا عن [illegible] الحضارية وهويتهم القومية بكل ما [illegible] من [illegible] وعندما أصبح التعليم يعني الفرنسة والانسلاخ عن الهوية المتميزة عن المستعمرين أصبحت «الأمية» سلاحًا [illegible] به العامة واعتصم به الجمهور ضد الذوبان في حضارة الاستعمار فالذين ظلوا على «أميتهم» ظلوا عربًا مسلمين حتى قيض الله

بلسعى قيادته العربية المسلمة المناضلة ممثلة في [جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] فخاضوا المعركة المقدسة التي أعادت الجزائر إلى أحضان العروبة والإسلام.

وفي صراع الصدام مع الغرب صنع بعض الأكابر من علماء الأزهر شيئًا شبيهًا في مواجهة الفكرية التي لا تعرف بغير «العقل» - بمفهومه اليوناني - والتي تمثل نهج الحضارة الأوروبية التي لم تعرف عقلانيتها الوحي والنصوص والمأثورات. فتحصن جمهور علماء الأزهر - والأزهر كمؤسسة تعليمية - بالنقل والنصوص والمأثورات.

وكانت الحضارة التجارية قد أدهشت بصمود وبهرت «النخبة» وزحزحت كثيرًا كل الرجحان عندما عقدت المقارنة بينها وبين الفكرية التي سادت في العصر «المملوكي العثماني». ورفضًا لهذه الحضارة الغربية استمسك الأزهر كمؤسسة وجمهور الأعظم من علمائه بهذه الفكرية التي سادت في تلك القرون، فقد اعتصموا بالقديم على علاته خوفًا من «الجديد - الغريب» وانطووا على الذات تحصنًا من الأمراض خوفًا من أن يقتلعهم الجديد الوافد.

ولقد كان لهذا الموقف المحافظ على القديم من «الجمود والتسليم بالجمود» في محافظته هذه منطقه الذي فرضته ظروف الصراع. فالمحافظة على الذات - بما فيها من سلبيات - خير من فقدها بالكلية، وبقاء القديم على علاته أولى من سيادة الجديد التغريبي الذي يهدد بسحق الشخصية القومية

والهوية الحضارية سالمة. وفي الحالة الأولى، المحافظة والجمود، تبقى الذات وتبقى مكانة التحديث وتطويرها. أما في الحالة الثانية، التغريب، فإن الخطر يحدق بمستقبل الأمة الحضاري ويهدد بسبب الذوبان.

لكن الذين غلوا في «المحافظة» على القديم والاعتصام به قد بلغوا بالمحافظة إلى حد «الجمود». وكانت مواقفهم تحدد موقف «التغريب» وهو منطق وموقف لا يخلو من الوجاهة، ولا يعدم منه المحتسبون حجته، ورائده في أمر عصره، وعلى ضوء الخطر الذي تصدى له الحادثين في الأعشار المغربية بين هذه الذين من المحذورهم للأمة وضحت وأصبلا، وبين الذين يعرفون فأصبحوا كما قال جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] ممهدين لطرق الأعداء وطلائع جيوش الغالبين، يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم(١).

والمقاومة بـ «التجديد»

لكن بعضاً من تتلمذوا على الأزهر رفضوا موقف الجمود، ورأوا المخاطر الكامنة في مقاومة التغريب بالمحافظة والجمود، فشرعوا ينبهون قومهم إلى ضرورة «التجديد» باعتباره الطريق الأكثر أمناً، والسبيل الأفعل في الحفاظ على ذاتية الأمة الحضارية والنجاة بمستقبلها من الذوبان في حضارة الغزاة.

(١) [الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني] ص ١٩٧. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م.

فقد انحصروا في المحافظة والجمود والاكتفاء على فكرية الحقبة المملوكية العثمانية قد تعصم دعاة المحافظين من الذوبان والتغريب لكنها لن تعصم دعاة الأمة من هذا الخطر الداهم لأن مذهب المحافظة والجمود لا يقدم البديل الذي ينافس ما يقدمه المتغربون بل إن ما لدى المحافظين لا يعدو فكرية عفا عليها الدهر ولا علاقة لها بجوهر فكر الإسلام وإبداع المسلمين في عصر الازدهار الحضاري.

أبصر أعلام التيار التجديدي هذه الحقيقة وطرحوا منطقهم الجديد:

• إننا إذا لم نجدد فقه المعاملات وتصوره بالاجتهاد فستدفع الناس تحت إلحاح الضرورة والافتقار إلى البديل ستدفعهم لتبني القوانين الوضعية على ما فيها من خلاف للشريعة ومخالفة للدين!

• وإننا إذا لم نجدد أساليب الكتابة والتعبير ونطور العربية كي تستوعب فكر العصر وعلومه فإننا نفتح الباب واسعًا لدعاة الكتابة باللاتينية وتدريس العلوم بلغات «الفرنجة»، وتبني مذاهب الغرب وأساليب أهله في التعبير!

• وإن نحن لم نجدد فكرنا الإسلامي بتخليصه من سلبيات العصور المظلمة وخرافاتها وبإحياء العقلانية الإسلامية المتميزة وتطويرها غلبتنا على عقول الناشئة واستولت عليها رغمًا عنا فلسفات الغرب اللادينية!

فالتجديد سيصبح إذن محض من فكرنا الإسلامي المنطلق والمنضبط والمكون الأول لنمط حضاري متميز سيقدم به للأمة باعتباره السبيل لنهضتها الحديثة وبعثها القومي الجديد وبه يتقدم الأزهر – باسم الإسلام – مستندين بالبديل المنافس، عن حضارة وإيقاد عبقرية التغريب التي تبشر بحضارة الغرب سبيلا أوحد لنهضة والتقدم. أما المحافظة والجمود فيهما فإن انقياد دعاة المحافظين من التغريب إلا أنهم لعجزهم عن تقديم البديل الصالح والقادر على منافسة الحضارة الغربية المنتصرة – وفي المدى الطويل – يمثلان أكبر خدمة تقدم لدعاة التغريب، فالمحافظة والجمود سيدعان الأمة فريسة سهلة سرعان ما تقع في شرك المتغربين.

هكذا فكر وبشر المجددون من نابهي علماء الأزهر الشريف وعلى هذا الدرب التجديدي تواصلت حلقات أعلام التجديد الذين حلقوا وصارعوا تيار المحافظة وتيار التغريب كليهما.

الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥٠هـ ١٧٦٦ - ١٨٣٥م]

أما صيغة هذا المسار التجديدي فهو حسن العطار. ذلك الشيخ الذي جاب أقاليم الدولة العثمانية فاطلع على مواطن ضعفها ثم اقترب من علماء الحملة الفرنسية على مصر فعلمهم العربية وقرأ كتبهم واطلع على تجاربهم العلمية وتعرف على مناهجهم في الفكر ووسائلهم في التعمير وبعض أسباب قوتهم.

وبعد أن شخص الشيخ العطار مواطن ضعفنا وأسبابه ومظاهر قوة الغرب وعواملها أدرك أن انقطاعنا عن علوم الحضارة

العربية الإسلامية الحقيقية والوقوف عند علوم الوسائل والأدوات وإهمال علوم المقاصد والغايات هو الذي يحول بين الأمة وبين امتلاك سلطان العلم ذلك الذي امتلكته أوربا فتسلحت به وجاءت لتستعبد بقوته وجبروته أمة الإسلام فالتصدي لأوربا لن يكون بالمحافظة والجمود وإنما بالتحرر والتغيير ومن هنا كانت صيحة العطار [illegible] إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها

لقد [illegible] في العلوم [illegible] كانت [illegible] عن الأزهر [illegible] على [illegible] إلى [illegible] هذه العلوم [illegible] ثم [illegible] عن [illegible] هذه العلوم [illegible] في العلوم الشرعية – لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم والكتب التي [illegible] حتى كتب [illegible] في [illegible] ثم هم مع ذلك – [illegible] في [illegible] والصنائع [illegible]

ثم يمضي العطار [illegible] هذا [illegible] وبين [illegible] في عصره، أولئك [illegible] عند [illegible] عن [illegible] والاجتهاد [illegible]؟

وقوفهم عند مؤلفات عصور الانحطاط دون عصور الازدهار والإبداع متقون. ومن نظر في ذلك وفيما انتهى إليه الحال في زمان وقف فيه على [illegible] ثمرته عدة أهل زمانهم.

قال: فصار من أمرنا النقل عنهم بدون أن نخترع شيئا من عندنا وقد قصرنا على النظر في كتب محصورة لفقهاء المتأخرين المستمدين من كلامهم مكررين طول عمرنا ولا تطمح نفوسنا إلى النظر في غيرها حتى كأن العلم فيها.

وفيما يتعلق بتحديث سبل التعليم، تحدث العطار عن تشجيع المحسنات للقصة و[illegible] عن الكتابة في دروسه بالأزهر ولفت أنظار طلابه إلى الأمهات في فن الشعر العربي ككتاب الأغاني للأصفهاني، [illegible] في تحقيق النصوص القديمة منهجا علميا في توثيق هذه النصوص وتقويم عباراتها. ووجه المشهور من تلاميذ الشيوخ إلى تدريس الأشعار والأخبار [illegible] وسائل التثقيف.

ولقد انعكس هذا التوجه التجديدي للشيخ العطار في المبادئ التي اهتم بالكتابة والتصنيف فيها فوجدت له في الحكمة والمنطق والكلام والعلوم الحديثة مثل الهندسة والطب والتشريح والفلك نحو من ثلاثة عشر كتاباً.

---

١ انظر [illegible] ص ٢٢ [illegible] ١٣١٦هـ

٢ [illegible]

٣ [illegible] الصحافة [illegible] ص ١٣٩ [illegible] ١٩٦٣م

الشيخ رفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م]

وثاني أبرز هؤلاء المجددين، هو الشيخ رفاعة، تلميذ الشيخ العطار.

بعد تخرج الطهطاوي في الأزهر سنة ١٨٢٢م واشتغاله بالتدريس فيه عامين ووعظه في الجيش عامين، ثم سافر إلى باريس خمس سنوات ليؤم طلاب البعثة العلمية في سنوات الدين لكنه تعلم هناك الفرنسية وعلومها وعاد بعد هذه السنين الطويلة فلما عاد إلى الوطن سنة ١٨٣١م أصبح إماماً للحركة الفكرية والنهضة التعليمية على حد سواء.

والبعض يتوهم أن فرط إعجاب الطهطاوي بعلوم الحضارة الأوربية يعني أن الرجل كان الصيغة لدعوة التغريب على حين أن المراد وحده أنه من أبرز دعاة التجديد لحضارتنا العربية الإسلامية.

• لقد وعى الطهطاوي تراث أمته، وعرف أن العلماء في مراتب الحضاري لم يكونوا هم الفقهاء فقط. ولقد وجد أن في تدريس علماء وشيوخ الأزهر قد خاصم علوم الحضارة، ووقف عند علوم الشريعة، انتقد هذا الوضع لا من منطلق المتغرب، وإنما من منطلق من يضرب المثل ويستلهم العظة والعبرة من تاريخ حضارتنا التي ازدهرت بمراتبها الحضارية. قال الطهطاوي يقول: "ولا يتوهم أن علماء الفرنسيس هم القسوس، فإن العلماء يطلق عندهم على من له معرفة في العلوم العقلية. وسيظهر لك فضل هؤلاء النصارى في

العلوم عند علمائهم وبذلك نعرف خلو بلادنا عن كثير منها. و[illegible] الأزهر، وجامع بني أمية بالشام، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس، ومدارس بخارى، ونحو ذلك، كلها زاخرة بالعلوم النقلية وبعض العلوم العقلية كالمنطق ونحوه من العلوم الآلية.

■ أما علوم المقاصد والغايات والتي خاصمها الأزهر يومئذ، وأسماها البعض "حكمة" عقلية، ورآها متداولة بين يدي الأوربيين، فإن الطهطاوي يدعو إلى تعلمها، فهي علوم إسلامية الأصل أساسية الانتماء، وهي علوم التمدن المدني، ولم تصادم الشريعة، ولا استثمر الحضاري [illegible] حضور هذه العلوم علوم الشريعة في مناهج الأزهر الشريف، فهو يدعو طلاب الأزهر وشيوخه إلى أن يضيفوا إلى علوم الشريعة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقدم الوطنية. فهذه العلوم الحكمية العملية التي يظهر الآن أنها أجنبية هي علوم إسلامية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية، ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة[3].

■ بل إن الطهطاوي - وهو الذي نهض بمسئوليات الرائد في [illegible] التمدن المدني، على عهدي محمد علي باشا [1184 - 1265هـ = 1770 - 1849م] والخديوي إسماعيل

(1) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج2 ص 161.

(2) أي المعللة بحكمة وعلة، والخاصة بالتطبيقات، ويقابلها علوم [illegible] من الوحي، والتي تتقيد بها مصر وطنية.

(3) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] ج1 ص 524.

[١٢٤٥ - ١٣١٢هـ ١٨٣٠ - ١٨٩٥م] - يحدثنا عن أن امتزاج علوم الحضارة بعلوم الشريعة في الأزهر هو وحده الكفيل بتحقيق الأمان بعدم سلوك جادة الرشاد، والإصابة منوط بجمعية الأزهر، التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة، ورفع أعلام الشريعة المنيفة، معرفة سائر المعارف البشرية.

واليوم وبعد نحو قرن من كتابة الطهطاوي لكلماته هذه، نتساءل: ترى لو وضعت أفكار الرجل في التطبيق أكان هناك مجال لما حدث من ازدواجية في مؤسسات التعليم أتاحت للتغريب نصيب الأسد في هذه المؤسسات؟

■ وعندما استحسنت الدولة - بالتأثيرات التغريبية الاستعمارية - ولم تستعضها بمحافظة بالاجتهاد الفقهي لدى حملة الشريعة تلبي احتياجات العصر، طلبت من الطهطاوي أن يترجم القانون الفرنسي من باب العلم بالفكر القانوني الأوربي، ولما ثم تصاعد تيار التغريب فجعل هذا القانون الفرنسي شريعة للمحاكم المختلطة، كتب الرجل ليذكر قومه بتراثهم الإسلامي في فقه المعاملات، وليدعو إلى تطويره بالاجتهاد كي يلبي احتياجات العصر فلا تقع مؤسساتنا القانونية والقضائية في أسر التغريب. كتب يقول: "والمعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق بتوفيقها على الوقت والحال، فما هو سهل العمل على من وفقه الله تعالى من ولاة

(١) المصدر السابق ج١ ص ٥٢٣

الأمور المستقبلية ذلك أن من أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبواباً مستوعبة للأحكام التجارية كالشركة، والمضاربة، والقرض والمخابرة والعارية والصلح وغير ذلك

• وكما كان الطهطاوي صريحاً في دعوته للاستفادة من التمدن المادي العقلي في الحضارة الأوربية فقد كان صريحاً كذلك في دعوته للحفاظ على تمايزنا الفكري والثقافي عن الطابع المادي في الحضارة الأوربية، والذي جعل عقلانيتها منكرة للوحي والشرع فلقد حذر رفاعة الطهطاوي ويحذر من الوقوع في شرك هذه الحضارة وهو يحكي كيف أن للأوربيين في العلوم الفلسفية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية ويقيمون عليها أدلة يعسر على الإنسان ردها ... كتب الفلسفة بأسرها محشوة بكثير من البدع. وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه فتحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشرع

فالعقل الذي يتحفظ الطهطاوي على تحسينه وتقبيحه للأشياء ما لم يرد الشرع حسنها أو قبحها هو العقل في الحضارة الأوربية المنكر للنقل، والذي لا يتخذ من الوحي إطاراً يتحرك فيه أما العقل في حضارتنا فله ...

١ المصدر السابق ج١ ص ٣٦٩
٢ المصدر السابق ج ص ١٠١

العقل» وباحثين معه في الهداية للانسان بالنور الذي اثمره اخاؤهما فهو مما نتميز به حضارتنا ونمتاز وننسا متعوس من قبل الطهطاوي والنهضة التي كان علما عليها الى التخلي عن هذا الذي يميزنا حضاريا عن الاوربيين

الامام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م]

أما الامام محمد عبده فلقد كان ابرز اعلام هذا التيار التجديدي، واعظم من تكون للتجديد من حوله مدرسة في تاريخنا الحديث. لقد نضج عقل الامام ومصر رازحة تحت الاحتلال الانجليزي ومن بعد الهزيمة نقصد المهزومين لمستعمر تقليد اعمى واكثره ما يكون في الشكليات والسلبيات الامر الذي زاد من مخاطر التغريب وعلى الجانب الاخر زاد تحجر المحافظة والجمود في الصراع ضد المتغربين خصوصا مع تركية السلطة الاستعمارية لتيار التغريب واسم هذا الاستقطاب الذي حمل الامة فريقين المتغربين واهل الجمود عبر الاسف الامام رفضه لكلا الموقفين وبشر بالموقف الثالث الداعي الى تجديد «دنيا» الامة عن طريق تجديد «دينها» بتنقية اصوله وجواهره من غبار عصور الانحطاط وقد حدثنا عن هذا الموقف الثالث الداعي لتحرير العقل الاسلامي كي ينهض بامته ويبعث حاضرها ويبني مستقبلها انطلاقا من الاصول وعصور الازدهار ومتجاوزا لمرحلة الجمود والانحطاط حدثنا عن هذا الموقف فقال «لقد نشأت كما ينشأ كل واحد من الجمهور الاعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر وتختلف فيما فيه يختلفون

ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سمعت الاستمرار على ما يألفون واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه، ونادين بأحسن ما وجدت ودعوت إليه وارتفع صوتي بالدعوة إلى

١- تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري فهو صديق للعلم باعث على البحث في أسرار الكون داعٍ إلى احترام الحقائق الثابتة ومطالب بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل

٢- إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير

٣- التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة

وقد خالفت في الدعوة إلى ذلك رأي الفئتين العظيمتين اللتين تتركب منهما جسم الأمة طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون العصر ومن هو في ناحيتهم

وعلى حين كان تيار المحافظة يرفض التجديد والتغيير في علوم الأزهر وطرق التدريس فيه وتيار التغريب يدعو إلى نبذ من حيث انتهت أوربا مصبح أوربيين نفكر كما يفكرون ونحب

١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٢ ص ٣١٨ - ٣١٩ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م

كما يحيلون [illegible] عند الأستاذ الإمام إلى الموقف الثالث، الرافض لدعوتي الجمود والتغريب على حد سواء.

■ فهو ينتقد [illegible] التعليم في المدارس الأميرية وفي المدارس الأجنبية [illegible] مناهج الأزهر الشريف.

■ وهو [illegible] على [illegible] الإصلاح في [illegible] المؤسسات الإسلامية الكبرى [illegible] الأزهر والقضاء الشرعي والأوقاف وتحدث عن [illegible] إصلاح الأزهر [illegible] له من الحرب.

■ وانتقد التقليد [illegible] العقلانية الإسلامية التي جعلت للعقل أعظم السلطان حتى في ميدان النصوص والمأثورات فالذين يقفون عند [illegible] من [illegible] الواردة دون [illegible] إلى ما [illegible] الأصول التي قام عليها الدين هم أضيق [illegible] من المقلدين وليسوا للعلم ولا للمدنية أحباء [illegible] والعقل هو جوهر إنسانية الإنسان وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة [illegible] والقرآن [illegible] وهو وحده المعجزة الخارقة قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم فهو معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيه [illegible] حتى ينظر في أنحائها وينشر ما انطوى في أثنائها فالإسلام لا

١) المصدر السابق ج٣ ص ١١، ١١٢
٢) المصدر السابق ج٣ ص ١
٣) المصدر السابق ج٣ ص ٣٤
٤) المصدر السابق ج ص ٢٨، ج٣ ص ٢٤٩

يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري. والمرء لا يكون مؤمناً إلا أن عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن ربي على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحاً بغير فقه فهو غير مؤمن. لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه ... وليس هناك أدنى خلاف بين الدين والعلم فهو بين الكون التي هي موضوع البحث العلمي ... هي سنن الله في الأمم والأكوان وهي ثابتة لا تتبدل ومهما بحث الناظر وفكر وكشف وقرر وأتى بما يحكم تلك السنن فهو يجري مع طبيعة الدين وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ولا تنفر منه»[1]

■ وإذا كان تيار «المحافظة» الجامد عند فكرية العصر «المملوكي العثماني» قد عجز عن تقديم التدبير الذي تنهض به الأمة على حين يدعو تيار «التغريب» إلى البدء من حيث انتهت أوروبا فإن الأستاذ الإمام يدعو إلى تأسيس النهضة على الدين «فهذه سبيل مجربة للإصلاح في المسلمين لا مندوحة عنها فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين تحوجه إلى إنشاء بناء جديد ليس عنده من مواده شيء

(1) المصدر السابق ج٣ ص ١٥١، ٢٧٩، ٢٨١.
(2) المصدر السابق ج٣ ص ٥٠٢، ٢٨٤.

ولا يسيطر عليه ... يجد من عماله احدا وما كان تدين كاملا تهذيب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من ابوابها، ولاهله من الثقة فيه ما ليس لهم في غيره وهو ما ... لديهم والعناء في رجوعهم اليه اخف من حدوث ما لا علم لهم به، فلم لعدو عنه الى غيره"[1]

والتأسيس للنهضة على الدين لا يعني الوقوف عند حدود علوم الشريعة لأن كل العلوم الاخرى هي اسلامية بمقدار ضرورتها لأنها من اقامة الاسلام وتحريرها وتطوير حضارتها وتعمير مجتمعاتها. فالنهضة الاسلامية وسبق الاوربيين وسبقهم يتطلب من ولاة امور المسلمين تجديد الدين والدنيا معا ... ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه، لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم في احدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لآخرتهم وهذا لدنياهم ولسابقوا بزاحمون الاوربيين فيزحمونهم[2]

• • •

تلك لمحات من قصة الازهر مع التغريب الذي كان ولا يزال الخطر الاكبر الذي تهدد ويتهدد عالمنا منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة، قبل قرنين من الزمان

إنها صفحة مشرقة في تاريخ الأزهر ... على مؤسسات لم تسقط ... كليا او جزئيا في شرك التغريب

[1] المصدر السابق جـ٣ ص ٢٣١
[2] المصدر السابق جـ٢ ص ٢٥١، ٢٥٢

فقد كان للأزهر في هذا الميدان سبق الرفض والمقاومة شارك في ذلك المحافظون من أبنائه «والمجددون».

وإذا كانت قصة الصراع بين الأزهر وبين التغريب — والتي هي في الحقيقة قصة صراع حضارتين متميزتين في موقفهما من العلاقة بين الدين و«الدنيا» بين «الحكمة» و«الشريعة» بين «العقل» و«النقل» بين «العلمانية» و«الإسلامية» بين «الفرد» و«المجموع»، بين «الجسم» و«الروح»، بين «الشك» و«اليقين» — هي قصة صراع حضارتنا هذه ضد حضارة الاستعمار والغزو الثقافي وتيار التغريب — إذا كانت هذه القصة مليئة بالدروس والعبر والعظات الصالحة للاستلهام، فإن أولى المؤسسات باستلهام دروسها وعبرها وعظاتها هو الأزهر الشريف والكثيرون يريدون أن تطمئن قلوبهم إلى أن صفحات الأزهر من «التطوير» لن توقفه عن شرف «التغريب» الذي تفرد بشرف مقاومته والاستعصاء عليه لأكثر من قرن ونصف من الزمان.

فإذا كان التجديد واردًا ومطلوبًا فهو لا يقطع عبر «التغريب» وسنتأرجح بين صقل الذات، بتجديد الأصول وتطويرها وبين مسخ الذات عندما نتجاوز الثوابت والمميزات

وبعد..

فلا نحسب أن ثمة شكا في ان امة مصر منذ لم تعد كافية بهذ وهي تخوض معركة تحررها من بقايا العروة الاستعمارية العربية الحديثة لم يعد كافيا بها ولا محققا لاهدافها ان تقف عند حدود

- «الاستقلال السياسي» وما يرمز له من «علم» و«نشيد»
- والاستقلال الاقتصادي وخاصة اذا كان يعني التنمية على النمط الغربي والمرتبطة به» لانها ستكون عندئذ تنمية للتبعية تفقد سبيلها الاستقلال، بل وتنقض المعنى الحقيقي للاستقلال

ولا بد من ان تضيف امتنا إلى شعاراتها، المعبرة عن أهداف معركتها ضد الاستعمار، شعار

- الاستقلال الحضاري لانه هو الذي يعطي شعاري «الاستقلال السياسي و الاستقلال الاقتصادي» مضمونهما الحقيقي والصادق ويحقق بما وراء تحقيقهما من غايات واهداف كما انه هو الضامن لرسوخ الاستقلال الوطني والقومي في وجه محاولات التسلط و لاحتواء التي تعددت سبل

وحققت انتصاراتها على الذين لا يحققون من سنن الاستقلال الحضاري الأصيل ولتغيب لكل المعارف والأهداف التي تسعى الأمة لتحقيقها في معركتها ضد الاستعمار

* * *

وعلينا أن نتذكر ونعي دروس تاريخنا في تاريخ صراع منطقتنا وأمتنا ضد موجات الغزو الاستعماري التي هجمت علينا ديارنا عبر تاريخ طويل

■ فعندما فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص [٥٠ ق هـ - ٤٣هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤م] لم يكن هزيمة جيش البيزنطيين وجلاء حامياته عن مصر بكافية لتحقيق الاستقلال الحقيقي لمصر عن البيزنطيين لأن مذهبهم الديني الملكاني كان قد احتل مؤسسات الفكر والدين في البلاد، واضطهد مذهب شعب مصر المعبر عن فكريته وأيديولوجيته المذهب اليعقوبي وطرده إلى الصحراء. ومن هنا كانت إعادة عمرو بن العاص للبطرك القبطي بنيامين [٣٩هـ - ٦٥٩م] إلى مركز التوجيه الفكري وإعادة كنائس مصر ومؤسساتها الفكرية إلى شعبها ومذهبها وفكريتها كانت هي الاستقلال الفكري والحضاري هو المتمم والمعبر عن أن مصر قد تحررت حقيقة من احتلال البيزنطيين

■ وعندما انتصرت أمتنا على غزو الفرنجة لإقطاع الصليبيين [٦٩٠هـ - ١٢٩١م] لم تواجه بقوة عسكرية فقط

كانت الغزوة الصليبية هجمة بربرية لا يمكن سوى العنف والدمار، ومن ثم فلم يخلفوا عندما جلت جيوشهم عن بلادنا أية آثار فكرية يمكن أن نخشى منها أو نخاف على عقل أمتنا أو ركبهم، فتنتقص من حقيقة الاستقلال الذي تحققه بها الجلاء.

■ أما مع الغزوة الاستعمارية الحديثة والتي تعانى منها معارك لنتحرر من آثارها فإن الأمر أكثر خطراً وأشد تعقيداً فقد جاءت هذه الغزوة بحضارة منتصرة استرق بريقها عقلاً فريقاً من صفوة مفكرينا واستهوى أسلوب عيشها قطاعاً عريضاً من مختلف مكان... أصبح التغريب حسب سمة... آخر لابد من صراعه... تحرر حتى تحقيق المعنى الكامل للاستقلال.

ففي العقل، وفي الوجدان، وفي المؤسسات الفكرية والتعليمية والتشريعية، وفي النوادي والصحف والكتب والإذاعات المسموعة والمرئية ودور المسرح والسينما... إلخ إلخ.. هناك مهام ومهام للذين يدركون أن الاستقلال الحقيقي، وتحرر الكامل من جميع آثار الصدارة للغزوة الاستعمارية الحديثة لن يتحقق إلا بالاستقلال «الحضاري» الذي تعود به أمتنا العربية الإسلامية لتحتل مكانها الطبيعي واللائق في منتدى الأمم العريقة صاحبة الحضارات العظيمة والمتميزة، ومن ثم تسهم في ثراء الفكر الإنساني من جديد، مواصلة بذلك مسيرة أسلافها العظام.

ويقرر عصم أهمية أن نحدد تحقيق أكبر قدر من وضوح الرؤية للغايات، وللوسائل والمبادئ، لكي يمكن تحقيق هذه الغايات.

إن فتح النوافذ العقلية على كل الموروث الحضاري هو السبيل إلى تلافي مخاطر الذبول والموات.

وإن التمييز بين ما هو ضروري ونافع في دعم ذاتيتنا الحضارية المتميزة ومشروعنا الحضاري الخاص وبين ما هو ضار وناسخ لذاتيتنا ومشوه لتميزنا وناسخ لاستقلالنا، إن هذا التمييز هو القضية الأعقد وهو الجهاد الأكبر في ميدان التفاعل بين حضارتنا وغيرها من الحضارات.

فما أسهل أن ينحاز البعض إلى قوقعة العزلة والانغلاق وما أسهل أن ينخرط البعض في موكب التبعية الفكرية [illegible].

ومن هنا كان التجديد للموروث والتطوير للخصوصية ودعمهما بعوامل القوة التي أثمرتها إبداعات الحضارات الأخرى هو الميدان الحقيقي للجهاد الأكبر الذي وجب ويجب على كل قادر على الإسهام في هذا الجهاد بنصيب قل أو جل هذا النصيب.

ولنتذكر دائما أن التجديد من خلال مشروع حضاري متميز هو السبيل إلى النهضة والعودة على حين كان ولا يزال التحديث على النمط الغربي - وهو في جوهره «تبعية» - السبيل إلى بقائنا هامشا ملحقا بـ مركز التحدي الغربي.

(١) [الأعمال الكاملة جمال الدين الأفغاني] ص٢٢٧ - ٢٢٨

فنتأمل ونحن نختتم هذه الصفحات عن الاستقلال الحضاري .. كلمات الرجل الذي أرشد بفكره وبصائره هذا الطريق في عصرنا الحديث . كلمات جمال الدين الأفغاني التي يقول

(إن نهوضنا وتمدننا إذا لم يؤسس على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه ، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق ، وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا من حيث الرقي والأخذ بأسباب التمدن هو عين التقهقر والانحطاط لأننا في تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوربية وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب والاستكانة لهم والرضا بسلطتهم علينا وبذلك تتحول صبغة الإسلام التي من شأنها رفع راية السلطة والغلب إلى صبغة خمول وضعة واستئناس للحكم الأجنبي)

المصـــادر

ابن أبي الحديد [شرح نهج البلاغة] تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م

ابن باديس [كتاب آثار ابن باديس] طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨م

ابن رشد أبو الوليد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م

ابن عبد الوهاب [رسالة هدية طيبة]

[رسالة هدية طيبة من المحاسبية]

منشورة ضمن [مجموعة التوحيد] طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة

ابن القيم [إعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م

أحمد صدقي الدجاني دكتور [الحركة السنوسية] طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

أمين سامي باشا [تقويم النيل] طبعة القاهرة سنة ١٩١٦م

الجبرتي [عجائب الآثار في التراجم والأخبار] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م

جمال الدين الأفغاني [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة– طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩م

حسن العطار [حاشية العطار على جمع الجوامع] طبعة القاهرة سنة ١٣١٦هـ

صفي الدين البغدادي [مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع] تحقيق علي البيجاوي طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤م

– الطهطاوي [رفاعة رافع] [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م

عبد الكريم الخطيب [الدعوة الوهابية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م

علي سامي النشار دكتور [مناهج البحث عند مفكري الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م

علي مبارك [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

عمر طوسون [البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد] طبعة الإسكندرية سنة ١٩٣٤م

الغزالي أبو حامد [المنقذ من الضلال] طبعة القاهرة طبعة بدون تاريخ

فيليب دي طرازي [تاريخ الصحافة العربية] طبعة بيروت سنة ١٩١٣م

الكواكبي عبد الرحمن [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٥

لوثروب ستودارد [حاضر العالم الإسلامي] ترجمة عجاج نويهض تعليقات شكيب أرسلان طبعة بيروت سنة ١٩٧١م

محمد عبده الإمام [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م

محمد عبد الغني حسن [حسن العطار] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م

محمد عمارة دكتور [العرب والتحدي] طبعة الكويت سنة ١٩٨٠م

[الإسلام والعروبة والعلمانية] طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

[مسلمون ثوار] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

[العروبة في العصر الحديث] طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

[تيارات الفكر الإسلامي] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب القاهرة

المهدي محمد أحمد [المنشورات المهدية] تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم طبعة بيروت سنة ١٩٦٩

هانوتو جابرييل [الإسلام والرد على منتقديه] مجموعة مقالات طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م

ونسنك أ. ي. [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦ - ١٩٦٩م

الفهرس

أحدث إصــــدارات

الأستاذ الدكتور
محمد عمارة

ضمن سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية
٢ - الغرب والإسلام
٣ - أبو حيان التوحيدي
٤ - ابن رشد بين الغرب والإسلام
٥ - الانتماء الثقافي
٦ - التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية
٧ - صراع القيم بين الغرب والإسلام
٨ - د. يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري.
٩ - عندما دخلت مصر في دين الله
١٠ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية.
١١ - المنهاج العقلي
١٢ - النموذج الثقافي
١٣ - تجديد الدنيا بتجديد الدين
١٤ - الثوابت والمتغيرات في اليقظة الإسلامية الحديثة
١٥ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم
١٦ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟
١٧ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.
١٨ - الحضارات العالمية تدافع؟ أم صراع؟
١٩ - الحملة الفرنسية في الميزان.
٢٠ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة؟ أم تفتيت واختراق؟
٢١ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.
٢٢ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟
٢٣ - هل المسلمون أمة واحدة؟
٢٤ - السنة والبدعة
٢٥ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان
٢٦ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة
٢٧ - القدس بين اليهودية والإسلام
٢٨ - مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة ألمانية)
٢٩ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية.
٣٠ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين
٣١ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية
٣٢ - السنة التشريعية وغير التشريعية
٣٣ - شبهات حول الإسلام
٣٤ - التطبيق الاجتماعي للأمة الإسلامية
٣٥ - شبهات حول القرآن الكريم
٣٦ - أزمة العقل العربي
٣٧ - في التحرير الإسلامي للمرأة
٣٨ - روح الحضارة الإسلامية.
٣٩ - الغرب والإسلام افتراءات لها تاريخ
٤٠ - السماحة الإسلامية
٤١ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيًا؟
٤٢ - أزمة الفكر الإسلامي المعاصر
٤٣ - إسلامية المعرفة ماذا تعني؟
٤٤ - الإسلام وضرورة التغيير
٤٥ - النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود



نهضة مصر

الاستقلال الحضارى

■ يعالج هذا الكتاب قضية محورية، من خلال دراسات ثلاث، تمثل أقساما ثلاثة فى هذا الكتاب:

١- الاستقلال الحضارى.. وماذا يعنى فى النهضة المنشودة لأمتنا.

٢- والعلاقة بين «موروثنا» العربى الإسلامى و «الوافد الغربى».

٣- ونموذج تطبيقى لهذه العلاقة، من خلال دراسة موقف واحدة من أعرق مؤسساتنا الفكرية والتعليمية - [الأزهر] -.. موقفه من «التغريب» و«الجمود» و«التجديد».

■ ووصولاً إلى الإسلام فى بلورة «معالم المشروع الحضارى» الذى ينير لأمتنا طريق الخروج من مأزقها الحضارى، يناقش هذا الكتاب عدداً من القضايا الفكرية الخلافية ..والشائكة:

- معالم الهوية العربية الإسلامية.. وموقعها من «الثبات» و«التغيير».

- والموقف من الحضارات الأخرى.. أهو «التفاعل» .. أم «التبعية».. أم «الانغلاق»؟

■ إنها «معالم للنهضة» .. و«دليل عمل» للإقلاع الحضارى .. يحاول أن يقدمهما هذا الكتاب.

الناشر



